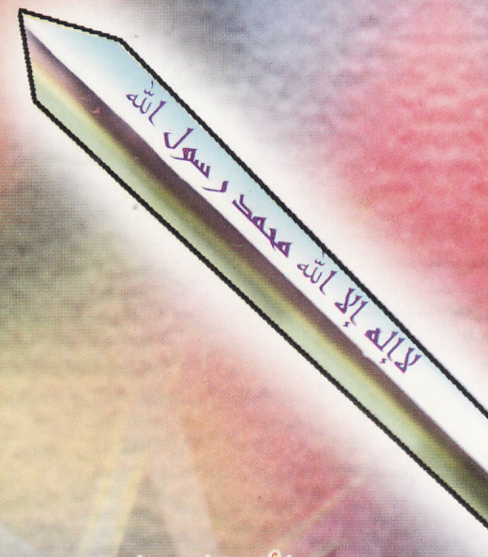
من تراث الغمارى

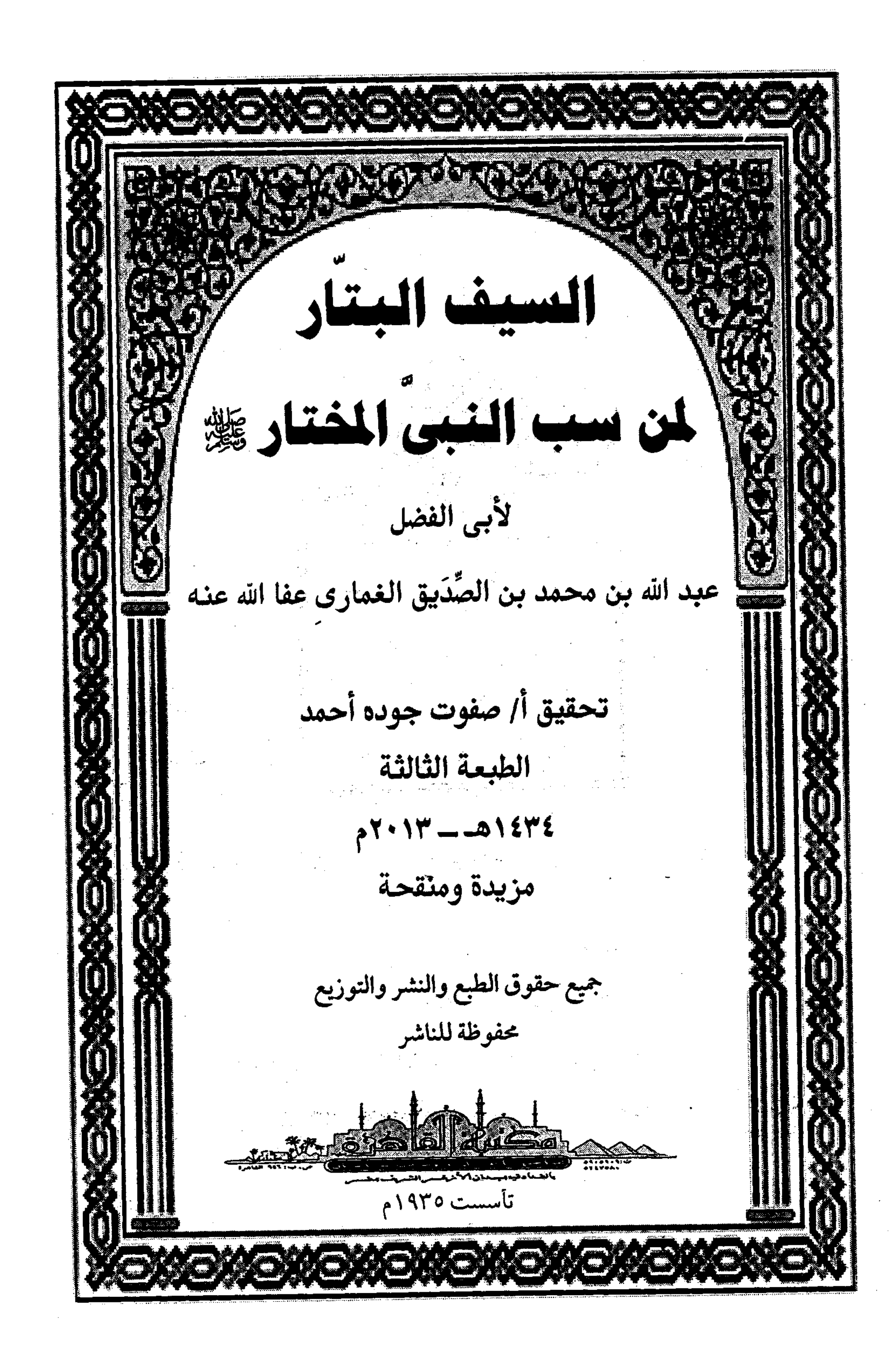
السيف البتار لمن سب النبى المختار

صلى الله عليه وسلم



لأبى الفضل
عبدالله بن محمد بن الصديق الغمارى





السيف البتّار

لمن سب النبىّ المختار ﷺ

لأبى الفضل

عبد الله بن محمد بن الصِّدَيق الغمارىِ عفا الله عنه

تحقيق أ/ صفوت جوده أحمد

الطبعة الثالثة

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

مزيدة ومنقحة

مكتبة القاهرة

تأسست ١٩٣٥م



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٣٦١٨ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

٩٧٧-٥٤٣٧-١٦-٤

علي يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت: ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ ـ الأزهر ـ القاهرة

Alqahirah٥٥@yahoo.com - Tarekali٥٩@yahoo.com

مـــن عـــاب أو ســـب النبـــىَّ فحكمـــه

ســـــيف يجللــــــه قـــــتلاً وتقريعـــــاً

هـــــذا قـــضاء المـــسلمين جمـــيعهم

لا خلـــــف بيـــــنهم ولا تفريعـــــاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

سيدى، يا رسول الله،

التحيات لله والصلوات الطيبات،

السلام عليك - أيها النبيّ - ورحمة الله وبركاته،

السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين،

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبد الله ورسوله،

اللهم، صل وسلم على سيدنا «محمد» وعلى آله، وصحبه وتابعيه .. إلى يوم

وبعـــــــد:

قال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠] .

أمر إلهى للرسول بالصبر على مزاعم المكذبين ومناوراتهم ثم هداية له وتبيان صبر وهجر ذلك الهجر لا يكون هجراً قاسياً صارماً لا رجعة فيه، لا، إن ذلك ينفر الناس ويبعدهم عن الدعوة والداعية بل هجر «جميل»، يتسق مع مهمة الهادى المرشد .

ورسول الله لاقى فى سبيل نشر رسالة ربه ألواناً من السخرية والاستهزاء والنفس قد تنحرف أو تخور أو تخون وتستسلم عندما تجابهها شدة أو أزمة نفسية أو سخرية قاسية أو استهزاء مرير والقرآن يعرض على رسول الله تلك الشرائع ويقص ما لاقاه الرسل من قبله من العنت والشدة ومن المؤامرات والسخرية، ليثبت محمد كما ثبت زملاؤه من قبل وليصمد كما صمدوا .

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠]، ويبين له الطريق الذى سلكه الأنبياء من قبل حيال مكذبيهم ليسلكه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ [الأنعام:٣٤]، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] .

وكان من الطبيعى أن يدعو القرآن محمد إلى سلاح يتسلح به تجاه أعداء الدعوة .. سلاح فيه البشارة وفيه تطمئن لفؤاد الداعية .

سلاح الصبر، الصبر يتسلح به سيدنا محمد ﷺ حتى يتغلب على اليأس إن انتابه يأس، ويتغلب على القلق إن جرفه تيار القلق إلى أودية بعيدة من الفتور والسلبية أو القعود والنكوص .. الصبر الإيجابى .. البعيد عن التخاذل والتواكل والاستسلام .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٥٠)﴾ [القلم] .

وسلمان رشدى الذى روجت مراكز التبشير والتنصير والاستشراق والاستعمار بأنه مسلم هندى من كشمير هو فى الواقع شيطان رجيم بريطانى من أكثر من ثلث قرن من الزمان

وإذا كان هذا الشيطان بريطانى الجنسية، وربيب بريطانيا، فلاشك أنه «كادر» من الكوادر التى استخدمتها بريطانيا ـ ولا تزال ـ فى التبشير والتنصير .. ومحاولات النيل من الإسلام ومن نبى الإسلام . ومن زوجات الرسول الطاهرات .

الشيطان سلمان رشدى ليس هو أول المبشرين ولا هو أول المنصرين أنه حلقة فى سلسلة طويلة من هؤلاء الشياطين التى أعدتهم وتعدهم مراكز التنصير والاستشراق والاستعمار فى العالم وهذه المرة جاء التطاول على الإسلام فى صورة رواية اسمها «آيات شيطانية» .. كتبها سلمان رشدى بحقد على الإسلام وبنى الإسلام، وأعطته مراكز التبشير جوائز سخية على ذلك .

وسلمان رشدى هو أداة، على علمائنا أن يفقهوهم ويؤكدوا لهم أن الإسلام هو دين الله .. الدين المؤمن الذى نزل من عنده وعلى السياسيين المسلمين أن يتعاملوا مع هذه المراكز ويكشفوها وليس مع الأدوات .

أن ما حدث من إهدار دم سلمان رشدى دون مكملة، هذا ضد تعاليم الإسلام فينبغى .. فينبغى محاكمة سلمان رشدى كمرتد . وإذا عاد إلى حظيرة الدين يعفى عنه، وهذا هو

الإسلام السمح الذى ينبغى أن يسود وهو سيد إن شاء الله[١] .

وأخيراً فإن الإسلام دين الله الحق لا يتأثر ولا يهتز بمثل هذا الكلام .. لأننا نعلم أنه سيزول .. وينتهى من الأسماء والأبصار سريعاً .. ولن يتأثر هذا الدين العظيم بكاتب من الدرجة العاشرة قال ما قاله .

أما رسول الله ﷺ فهو فى قمة الدنيا والآخرة .. العالم كله يسبح ويصلى عليه .. وهو أكرم خلق الله وأحبهم إلى الله .. وهو الذى نزلت عليه أعظم الرسالات السماوية التى حولت مجموعة من العرب يقتل بعضهم بعضاً ويحارب بعضهم بعضاً حولتهم فى سنوات قليلة إلى أمة سادت الدنيا كلها .

---

[١] بتصرف من مقال الأستاذ أحمد أبو كد مجلة التصوف الإسلامى العدد ٣ ـ السنة ١١ ص ٣٠ .

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر
فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق

قال فضيلة الإمام الأكبر: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

وبعد:

فقد ورد إلى الأزهر الشريف:

أنه صدر فى بريطانيا كتاب بعنوان: «آيات شيطانية» لمن يدعى/ سلمان رشدى - من أصل هندى ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، ويسئ إلى زوجاته وأصحابه ﷺ. فى أسلوب قصصى: فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام.

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حنق الملاحدة على الإسلام، والرغبة فى الارتزاق من أيدى أعداء هذا الدين الحنيف.

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية فى بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب، وتعريفاً بما يحمله صاحبه فى قلبه من سوء، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التى تعاونت معه.

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية، ومجلس أمناء المركز الإسلامى فى بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ ما يجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح.

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التى تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابه من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب.

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول هذا الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التى أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول فى البلاد الإسلامية.

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامى إلى أن تأخذ دورها فى مواجهة مثل

هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق رسول الله ﷺ .

ويشكر الأزهر كلاً من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتها إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس فى الشهر القادم .

هذا: ولخطورة المعلومات التى وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه، وما فيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وجهت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها .

موقف علماء الإسلام

فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

أن سلمان رشدى يستحق القتل لأنه سب رسول الله ﷺ بعد التحقيق معه وسماع دفاعه عن نفسه، وله حق الرجوع والتوبة وعندها يسقط عنه حد القتل .

الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

إن ما نسب إلى سلمان رشدى .. وأياً كانت عباراته الماسة بشخص الرسول ﷺ وزوجته بما يخرجه عن الإسلام فإن له الحق فى أن يحاكم محاكمة عادلة طبقاً للشريعة الإسلامية .. وله أن يدافع عن نفسه إذا كانت عباراته تحتمل معانى لا تخرجه عن الإسلام وعقائده الأساسية ـ ومثلها احترام وتوقير الرسول ﷺ ـ ولابد من إقامة الدليل القاطع على أنه فعل ما يقطع بارتداده عن الإسلام ومن حقه أن يعلن توبته ورجوعه واعتذاره عن تلك الإساءة لمقام رسول الله ﷺ وإذا فعل ذلك حتى بعد الحكم عليه بالردة لا يحكم عليه بالعقوبة المحددة شرعاً القتل . وأن القتل لا يوقع عليه إلا بعد محاكمة عادلة يعرفه القضاة بعدها بخطئه وأن يزيلوا عنه الشبهات التى دعته إلى الضلال .. ثم يستتاب ثلاثة أيام كفرصة أخيرة فإذا لم يتب خلالها ويرجع عن موقفه .. يقتل شرعاً .

قصتى مع هذا الكتاب

هذه لطيفة نافعة مفيدة، تحمل بين طياتها ما اشتمل عليه هذا الكتاب القيم .

لقد طلب منى مدير مكتبة القاهرة الأستاذ الفاضل/ محمد على يوسف، تحقيق وتنقيح كتب فضيلة شيخنا الفاضل المرحوم عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى ووجدت أنها مهمة صعبة وثقيلة علىّ، وتحتاج إلى مجهود ووقت ضخم حيث أن كتب فضيلته تحتاج إلى قراءة وتنقيب وشرح وتفصيل للمسائل التى وردت فى جميع مؤلفاته وقد استجبت لتكليف مكتبة القاهرة، واستعنت بالله ﷻ، وسألته التوفيق والسداد فى هذا العمل العلمى الجليل، وحاولت ـ مستعيناً بالله ﷻ ـ أن تتحقق الأهداف المقصودة من تحقيق كتب الشيخ الغمارى ونشرها بصورة جديدة منقحة ومزيدة بالمعلومات وبالطريقة العلمية الحديثة التى تتفق مع روح عصرنا الحاضر بعيدة عن الغموض لكى ينتفع بها طلاب العلم والراغبون فى تحصيله ودراسته وإنى لأعد قرائى الأعزاء إن كان فى العمر بقية بالتحقيق الكامل لتراث الشيخ الغمارى . وهذا الكتاب هو أول عمل لنا .

والحق يقال: إنى استفدت كثيراً بما جاء فى هذا الكتاب وبما سيأتى بمشيئة الله فى الكتب القادمة .

والله أسأل أن ينفع بقدر ما بذل من جهد، وما قصد من خير .

هذا بالنسبة لموضوع قصتى مع كتب الشيخ الغمارى .

* * *

عملى فى الكتاب:

أما بالنسبة لما قمت به من أعمال تتعلق بتحقيق هذا الكتاب .

فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، فقد وفقنى الله بما يلى:

١- وضع عناوين للموضوعات .

٢- قمنا بترجمة مختصرة لكل العلماء الذين ورد ذكرهم فى الكتاب .

٣- تخريج كل حديث ورد فى هذا الكتاب وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة .

٤- الدلالة على آيات القرآن الكريم بذكر رقم الآية والسورة .

٥- توضيح ما يمكن توضيحه ومحاولة ميسرة لتقريب الفكرة إلى ذهن القارئ .

٦- عمل فهارس للموضوعات آخر الكتاب .

وبعد ..

فالله ﷻ نسأل، وإليه نضرع أن ينفعنا بعلمه، وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين من تراث إسلامى أصيل .

صفوت جوده أحمد

منفلوط فى ليلة الاثنين

٢٥ ربيع ثانى ١٤١٧ هـ

٩ سبتمبر ١٩٩٦ م

مقدمة للمؤلف

الحمد لله رب العالمين .. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضى الله عن صحابته والتابعين .

وبعـــــد :

فقد كتب عالمان، فى حادثة وقعت فى زمنهما، كتابين مفيدين:

أحدهما: القاضى تقى الدين السبكى، ألّف كتاب **«السيف المسلول على من سب الرسول»** .

والآخر: الحافظ ابن تيمية، وسمى كتابه: **«الصارم المسلول على شاتم الرسول»**، وهو مفيد جداً، لكنه ليس عندى الآن .

وهذا مؤلف ثالث، كتبته لحادثة أوجبته، وسميته: **«السيف البتّار لمن سبّ النبيَّ المختار»** كتابنا هذا .

ولقد كلفت الحاج على يوسف سليمان صاحب مكتبة القاهرة وهو أخ عزيز بطبع هذا الكتاب (كما سبق وطبع لى الكثير من مؤلفاتى) فرحب به كثيراً ووافق على طبعه ونشره، فجزاه الله كل الخير .

والله أسأل أن يقبله منى، ويجعله سبباً لنيل رضاه . إنه جواد كريم، رؤوف رحيم .

المؤلف

عبد الله بن الصديق الغمارى

آراء العلماء فيمن سب النبىّ ﷺ وأدلتهم على ذلك[1]

قال الإمام ابن المنذر[2] فى كتاب «الإقناع»:

أجمع عوامُّ أهل العلم على وجوب القتل على من سب النبىَّ ﷺ . هذا قول مالك والليث بن سعد والشافعى وأحمد وإسحق ومن تبعهم . أهـ .

قال القاضى عياض فى «الشفا»[3]: وهو مقتضى قول أبى بكر الصديق ﷺ، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثورى وأهل الكوفة، والأوزاعى فى

---

(١) نستعرض أقوال الأئمة وأحكامهم على من يؤذى النبى ﷺ بوضوح وتفصيل:

- الإمام أحمد بن حنبل: كل من شتم النبى ﷺ أو تنقصه مسلماً كان أو كافر، فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب .
- القاضى عياض: جميع من سب النبىَّ ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً فى نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به شبهة بشئ على طريق السب له، أو الازراء عليه أو البغض منه، والعيب عليه، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب، وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له، أو دعا عليه، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصة على طريق الذم، أو عيره بشئ مما يجرى من البلاء والمحنة عليه .
- الإمام مالك: من سب النبىَّ ﷺ قتل ولم يستتب وكذلك من شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره .

  وقال الإمام مالك أيضاً: من قال إن رداء رسول الله ﷺ «وسخ» فإنه يقتل كالزنديق .. فقد فرض الله توقيره .
- بعض المالكية: من دعا على نبى من الأنبياء بالويل أو بشئ من المكروه يقتل ولا يستتاب .
- أبو حنيفة وأصحابه: من برئ من الرسول أو كذبه فهو مرتد .
- أصحاب الشافعى: من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة فهو كالسب الصريح فإن الاستهانة بالنبىِّ كفر .
- الإمام إسحق بن راهوية: أجمع المسلمون على أن من سب الله، وسب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبياً من أنبياء الله ﷻ فهو كافر، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله .
- أتى عمر برجل يسب رسول الله ﷺ فقتله . ثم قال عمر: «من سب الله أو سب أحد من الأنبياء فاقتلوه»، وسمع خالد بن الوليد رجلاً يسب النبى ﷺ فقتله .

هذا بعض ما قاله الأئمة ولم يفرق الأئمة بين المسلم والذمى فى إهدار دم من يشتم الرسول أو ينتقص من قدره .

(٢) ابن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى . فقيه مجتهد من الحفاظ كان شيخ الحرم بمكة ولد ٢٤٢هـ .

كان رحمه الله ورعاً زاهداً عالماً من أعلام الشافعية، وحافظاً من حفاظ الحديث له إلمام دقيق بمواقع اختلاف العلماء .

وكان من المجتهدين الذين لا يتقيدون بمذهب إمامهم فى جميع قواعده الأصولية .

ومن مؤلفاته: المبسوط ـ السنن ـ إثبات القياس ـ الإجماع . توفى بمكة سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

(٣) يسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى القاضى المتوفى سنة ٥٤٤هـ . أوله الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى وقد تسابق العلماء على وضع الشروح عليه وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الأسنوى الشافى وشرح جلال الدين السيوطى أحاديثه وسماه (مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا) {راجع كشف الظنون ص ١٠٥٢ وما بعدها} .

المسلم، وقالوا: هى ردة . أهـ .

وحكى ابن حزم(١) فى «المحلى» عن أبى حنيفة(٢) ومالك(٣) والشافعى(٤) واحمد بن حنبل(٥) وإسحق بن راهوية(٦) وسائر أصحاب الحديث وأصحابهم، أن من سب النبيَّ ﷺ كافر مرتد .

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبيَّ ﷺ كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله ﷻ وحكمه عند الأمة القتل .

وممن صرح بوجوب قتل شاتم النبيَّ ﷺ أبو بكر الصديق(٧)، وابن عمر(٨)، وعمر بن عبد العزيز(٩) ﷺ .

---

(١) ابن حزم: على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى أبو محمد عالم الأندلس فى عصره ولد بقرطبة . وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة . فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف . فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء .

وله مؤلفاته الكثيرة منها: الأحكام لأصول الأحكام -الزهد فى الرذائل - الفضل فى الملل والنحل ـ طوق الحمامة توفى أواخر شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة .

(٢) أبى حنيفة: هو النعمان بن ثابت التيمى بالولاء الكوفى أبو حنيفة أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد عام ٨٠هـ بالكوفة وكان يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء وأراده عمر بن هبيرة أمير العراقيين على القضاء فامتنع ورعا، توفى ١٥٠هـ .

(٣) هو الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية . ولد بالمزينة عام ٩٣هـ .

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد فى غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ .

أفتى وهو ابن عشرين سنة . له تصانيف كتاب الأم جمعة البويطى، توفى ٢٠٤هـ بمصر .

(٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى إمام المذهب الحنبلى وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والى سرجس ولد ببغداد عام ١٦٤هـ سافر إلى الكوفة ومكة والمدينة واليمن وغير ذلك .

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد يعقوب بن راهوية عالم خراسان فى عصره وهو أحد كبار الحفاظ أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم ولد عام ١٦١هـ استوطن نيسابور وتوفى بها عام ٢٣٨هـ .

(٧) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ينتهى إلى تيم بن مرة .

ولد بعد عام الفيل بعامين وشب على كرم الخلق وحب العشيرة والتأليف بين القلوب .

وعندما استقر رسول الله ﷺ وكان النبى ﷺ يخصه بمزايا كثيرة حتى كانوا يسمونه وزيره .

(٨) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أسلم وهو صغير السن ـ كان كثير الاتباع لأثار رسول الله ﷺ، فكان يصلى فى كل مكان صلى فيه النبى ﷺ .

كان من المكثرين للرواية، فقد روى عن رسول الله ﷺ(١١٦٣٠ حديثاً والسبب فى إكثاره يرجع إلى طول عمره وإسلامه منذ صغره وعنايته بالسنة . توفى ٧٣هـ) .

(٩) عمر بن عبد العزيز: تولى أمر المسلمين سنة تسع وتسعين هجرية . ولد بحلوان مصر سنة إحدى وستين للهجرة .==

أما أبو بكر، فروى أبو داود والنسائى عن أبى برزة ﷺ عنه قال: كنت عند أبى بكر ﷺ فتغيظ على رجل فاشتد عليه، فقلت: تأذن لى يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟، قال: فأذهبت كلمتى غضبه، فقام فدخل فأرسل إلىّ، وقال: ما الذى قلت آنفاً؟، قلت: ائذن لى أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلاً لو أمرتك؟، قلت: نعم، قال: لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ.

وروى ابن حزم من طريق قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى حدثنا محمد بن بشار أنا معاذ بن معاذ العنبرى حدثنا شعبة عن توبة العنبرى قال: سمعت أبا السوار القاضى عبد الله بن قدامة يحدث عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبى بكر، فقلت: ألا أقتله؟، فقال أبو بكر: ليس هذا إلا لمن شتم النبى ﷺ.

وأما ابن عمر ﷺ، فروى ابن المنذر فى كتاب «الأوسط» عن حصين عن مجاهد قال: قيل لابن عمر: إن رجلاً سب النبىَّ ﷺ، فقال: لو سمعته لقتلته، ما صالحناهم على سب نبينا.

وروى الخلال فى «الجامع» فى كتاب الملل (باب من شتم النبى ﷺ)، عن حصين عمن حدثه عن ابن عمر، أنه مرّ به راهب، فقيل له: هذا يسب النبىَّ ﷺ، فقال ابن عمر: لو سمعته لقتلته، إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا.

وأما عمر بن عبد العزيز ﷺ، فروى ابن حزم فى «المحلى» من طريق قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا سحنون حدثنا ابن وهب عن خالد عن حميد عن عمر بن عبد الله عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البينة فهممت بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو جلده، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به ولو قطعته لقطعتك به ولو

== كان محباً للعدل وواسع الصدر حليماً، يقبل العثرة ويتغاضى عن الهفوة وكان متفقهاً فى الدين يحب الوعظ ويتقبله . وكان حكيماً فى قوله وفعله .

قال سفيان الثورى الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ﷺ .

جلدته لأقدته منك فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلى الكناسة، فسبه كالذي سبني أو اعف عنه فإن ذلك أحب إليّ فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحداً من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ»[1].

ويؤيد هذه الآثار أحاديث:

* قال ابن حزم: حدثنا حمام حدثنا عباس بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن حدثنا أبو محمد حبيب البخارى ـ هو صاحب أبى ثور ثقة مشهور ـ حدثنا محمد بن سهل سمعت على بن المدينى يقول: دخلت على أمير المؤمنين، فقال لى: أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبى ﷺ؟، قلت: نعم، فذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين: كان رجل يشتم النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ:«من يكفينى عدواً لى»؟، فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبى ﷺ إليه، فقتله .

فقال له أمير المؤمنين: ليس هذا مسنداً، هو عن رجل، فقلت: يا أمير المؤمنين، بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى نبى الله فبايعه، وهو مشهور معروف .

قال: فأمر لى بألف دينار .

قال ابن حزم: هذا حديث مسند صحيح .

* حديث قتل كعب بن الأشرف اليهودى الذى شتم النبى ﷺ، وهو فى الصحيحن، وفى كتب السيرة .

روى البخارى عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله»؟، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟، قال:«نعم»، قال: فائذن لى أن أقول شيئاً، قال:«قل»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا

---

(١) فمن الأدلة القرآنية:

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧] .

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣] .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠] .

كل هذه الآيات تبين بوضوح أن إيذاء الرسول ومحادته يوجب القتل .

صدقة وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضاً والله لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شئ يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا، قال: نعم، ارهنوني، قلت: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، فقالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا، فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللأمة ـ يعني السلاح ـ فواعده أن يأتيه ليلاً، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج الساعة؟ أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل[1] بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب، قال: عندي أعطر نساء العرب، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم . فقتلوه، فأتوا النبيَّ ﷺ فأخبروه، هذا لفظ رواية البخاري .

وكان كعب قد نقض العهد، وحرض قريشاً على قتال المسلمين بعد انتصارهم ببدر، وقال لما بلغه قتل صناديد قريش: لئن كان محمد قتل هؤلاء، لبطن الأرض خير من ظهرها.

* حديث قتل أبي رافع اليهودي:

روى البخاري في صحيحه عن البراء عن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، فدخل عليه عبد الله ابن عتيك بيته ليلاً فقتله، وكان قتله بعد كعب بن الأشرف لعنهما الله .

* حديث ابن عباس[2] م قال: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه،

---

(١) قائل بشعره أي معيل له .

(٢) ابن عباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر الأمة الصحابي الجليل . ولد بمكة ٣ ق هـ ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي الجمل وصفين وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف . وتوفي بها ٦٨هـ له في الصحيحين وغيرهما . ١٦٦ حديثاً .

فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول[١] فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس، فقال: «أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل[٢] حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر» . رواه أبو داود والنسائي، ورجاله ثقات .

* ما رواه أبو داود عن الشعبي عن عليّ رضي الله عنه: أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها[٣] رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها .

رجال إسناده رجال الصحيح[٤] .

---

(١) المغول: بوزن منبر شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه .

(٢) يتدلدل: يتمايل .

(٣) فخنقها بالنون من الخنق، ووقع في شرح مختصر سنن أبي داود بتحقيق حامد الفقي، فخنقها بالفاء وهو تحريف .

(٤) فهذه الإشارات تدل دلالة قطعية على أن من ساب الرسول ومؤذيه يستحق القتل، ولأنه يطعن في عصمة الرسول وفي الدين الى جاء به، وفي القرآن الذى أنزل عليه .

حكم من سب النبى ﷺ

تبين مما أوردناه أن الحكم بقتل صاحب «آيات شيطانية»[١] صحيح جداً، وهو مبنى على أساس من الأدلة متين، ومن استبعد هذا الحكم، أو استكثره، فهو إما جاهل بأحكام الدين وقواعده، وإما أن فى عقيدته دخلاً وخللاً . أما الذى أيد فى ذلك المجرم وجاحش عنه ممن ينتمى إلى الإسلام فهو مرتد، يجب قتله إن لم يتب، وهذا حكم الإسلام[٢] .

---

(١) هذا الكتاب ليس فيه فكر يمكن مناقشته وليس فيه شئ يمكن أن نرد عليه .. لأنه مجموعة من الشتائم تمس رسول الله ﷺ وزوجاته ﷺ وصحابته الأبرار ـ ثم بعد ذلك لا شئ .

ومؤلف هذا الكتاب هو سليمان رشدى ٤٢ سنة هندى الأصل إنجليزى الجنسية .. ولد فى مدينة بومباى بالهند عام ١٩٤٧ لأب مرتد عن الإسلام .. تعلم فى مدرسة تبشيرية هناك وشرب فيها سموم المبشرين ضد الإسلام . بعد الحرب الهندية بالباكستانية هاجرت أسرته إلى لندن هرباً من الفقر وهو فى سن الثالثة عشرة بحثاً عن حياة اقتصادية أوفر وظروف اجتماعية أفضل .. وفى مدرسة «راجبى» بلندن أكمل تعليمه الثانوى .. ثم التحق بكلية «الملك» بجامعة كمبردج وتخصص فى دراسة التاريخ .

مسيرة حياة متناقضة منذ المولد .. أب مرتد عن الإسلام تحت الدعايات التبشيرية . وتعلم أولى فى مدرسة تبشيرية تشكك فى الإسلام .. ثم نقله حضارية مفاجئة من مجتمع شرقى محافظ إلى مجتمع أوربى منحل .

- وهذا وقد فطن المسلمون إلى قتل من يسب الرسول أو يشتمه، أو يعرض به، أو يغلظ له فى القول . والوقائع التى تشهد على ذلك كثيرة . فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إى لقيتو أبى فى المشركين . فسمعت منه مقالة قبيحة لك، فما صبرت أن طعنته بالرمح فقتله . فما شق ذلك عليه . أى على الرسول ﷺ .
- إذن الفتوى بقتل سليمان رشدى صحيحة وكل ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ووقائع أقرها الرسول ﷺ وأقوال الفقهاء يؤيد هذه الفتوى ويجعل دم هذا الزنديق مستباحاً لأنه فعل أبشع مما فعله الزنادقة القدامى فهو أولا مرتد . وثانياً متطاول على مقام الرسول . وثالثاً مثير فتنة بين المسلمين وغير المسلمين .

(٢) يقول الأستاذ أحمد أبو كف:

- ليس جديداً على الإسلام هؤلاء الجرذان والفئران الذين نهجوا مثل أسلافهم وتهجموا على الإسلام .
- الإسلام يحكم على سلمان رشدى إذا كان مرتداً أو لابد أن يعطى له فرصة قبل أن تطبق عليه أحكام الشريعة . مجلة التصوف الإسلامى . العدد ٣ السنة ١١ شعبان ١٤٠٩هـ . مارس ١٩٨٩م ص ٤٨/٣٠ .

إن محور كتاب أشعار شيطانية يدور حول بغى افتتحت محلاً للدعارة جعلت اللافتة الدالة عليه كلمة «الحجاب» فهل الحجاب تصلح لدار بغاء؟!

هكذا قال سلمان رشدى: ثم استأجرت المرأة المتمرسة بالدعارة اثنتى عشرة امرأة اختارت لهن أسماء زوجات النبى العربى محمد ﷺ، أطهر من مشى على الثرى واندى عباد الله صوتاً فى الدعوة إلى الشرف والسمو .

فهل هذا منهج فى عرض سير الأنبياء أو حتى سير الرجال الأكابر .. هل هذا من حرية الفكر؟

سلمان رشدى فاقد الإيمان . يؤكد أنه مثل إحدى شخصياته فى روايته أطفال منتصف الليل، وقد فقدت الإيمان وبقى ثقب فى داخلها، ويرمز بهذا الثقب إلى الفراغ بعد الإيمان .

وكتاب «آيات شيطانية» نشرته دار نشر فايكنج بنجوين عام ١٩٨٨ وهو قد حصل من هذه الدار على ٧١٢ ألف جنيه إسترلينى . ==

== ويدور الكتاب حول اثنين من المهاجرين الهنود لا يستطيعان التكيف مع الثقافة البريطانية أو الهندية على السواء، ويزعم المؤلف أن شخصيات روايته تسعى لكى تصبح إنسانية بالكامل عن طريق مواجهة الحقائق الكبرى للحب والموت وحياة الروح، ويصور الكاتب مؤسس دين خيالى ومعركة بين الخير والشر لكن الرموز التى يستخدمها تشير إلى أنه يتحدث عن دين الإسلام، وهو يقول إن القرآن ليس كلمات الله كما قالها من قبل المبشرون والمستشرقون، ثم هو أيضاً يسئ إلى زوجات النبى .

الذين يصفون سلمان رشدى بأنه مسلم هم واهمون .

والذين يقولون أنه أخطأ سهواً .. أيضاً لا يقولون الحقيقة .

فسلمان رشدى، هندى عميل لبعثات التبشير الإنجليزية، وقد حاول أن يكون روائياً ونشر روايته الأولى «جريموس» ١٩٧٥ وتجاهلها القراء، ثم نشر رواية «أطفال منتصف الليل» .. ويعالج فيها قضية التخاطر الملحدة حيث يشعر الإنسان بنفس شعور إنسان آخر فى نفس الوقت واللحظة ولأن هذه الرواية بداية الإلحاد فلقد أعطاه البريطانيون جائزة «بوكر» ١٩٨١، وقد ساعده على نجاح روايته الملحدة هذه .. أن يؤلف رواية ثالثة هى «العار» الذى تهكم فيها على سياسة دولة مسلمة هى باكستان . وحصل بها على جائزة أحسن كتاب أجنبى فى فرنسا عام ١٩٨٣، وهذه الرواية «العار» هى رواية عن فقد الشخص لإيمانه .

وقد جاءت تصريحات خمينى، بإهدار دم سلمان رشدى بضجة كبيرة، بل هى قدمت التبرير لقوى التبشير فى العالم، ليقولوا أن المسلمين ليس لديهم وسيلة للحديث عن دينهم سوى العنف .

ولقد هزت تصريحات خومينى قادة الدول الأوربية والأمريكية، وعقدت اجتماعاً .. للبرلمان الأوربى والمجموعة الأوربية، وتبادل سحب المبعوثين الدبلوماسيين من إيران، ومن تلك العواصم الأوربية والأمريكية .. لدرجة أن جورج بوش رئيس أمريكا هاجم قرار الخومينى ودافع عن حرية رأى سلمان رشدى، وكأنه لم يؤذ مشاعر المسلمين .

لكن ينشأ السؤال: إذا كان سلمان رشدى ليس هو أول المهاجمين للإسلام والمسلمين، وليس هو أول المسيئين إلى رسول الله ﷺ .. فما هو موقف الإسلام من مثل سلمان رشدى؟!

الواقع أنه فى واقعة سلمان رشدى بالذات، وجدنا من بعض المصريين الذين يحسبون على الإسلام يتشدقون بما أسموه حرية الرأى، ووجدناهم أيضاً يسلكون سلوك الأوربيين والأمريكان فيما يقولونه تنديداً بخومينى والإيرانيين .

وإذا كان سلمان رشدى ـ كما يشيع عن نفسه ـ أنه مسلم، فإن إساءته إلى الإسلام تعتبر جريمة مركبة، فهو ليس نصرانياً كالمبشرين، وإنما المسلم الذى يسئ إلى الإسلام ونبى الإسلام له وضع خاص .

وعلى فرض أن سلمان رشدى قد ترك الإسلام وأنه ليس مسلماً فإن هجومه على نبى الإسلام وزوجات الرسول ﷺ وعلى القرآن ينبغى على المسلمين أن يقرءوه ويقدموا الهجوم المضاد .

لكن بلا شك فإن سلمان رشدى مسلم محسوب على الإسلام تستخدمه جهات الاستشراق والتبشير للنيل من الرسول وزوجاته والقرآن، لأن مسلماً حينما يهاجم دينه فهو أوقع، بمعنى أن سلمان رشدى باع دينه فى سبيل مصلحته الشخصية وهى الشهرة والمال .

ولهذا فمن حق المسلمين فى العالم أن يغضبوا لما ورد فى رواية سلمان رشدى، فهو مروق عن الدين، واعتداء على شعور المسلمين، فحياة الرسول ﷺ قد سجلت بأوثق الأسانيد والبحث والتحرى والتسجيل، بمعنى أن سلمان رشدى لا يعرف شيئاً عن الإسلام، ولا هو صاحب قضية حقيقة .

ومع ذلك فإن سلمان رشدى كما يؤكد مشايخ الإسلام ينبغى أن تكون له محاكمة عادلة طبقاً لشريعة الإسلام، يدافع فيها عن نفسه، ولابد من إقامة الدليل القاطع أنه فعل ما يقطع بارتداده عن الإسلام، ومن حقه أن يعلن توبته ورجوعه واعتذاره عن تلك الإساءة للإسلام وللرسول .. وإذا فعل ذلك بعد صدور الحكم عليه بالردة لا يحكم عليه بالعقوبة المحددة شرعاً . ==

سئل الإمام أبو الحسن القابسى، فيمن قال عن النبى ﷺ: الحمال[1] يتيم أبى طالب؟ فأفتى بقتله .

وسئل أبو محمد عن أبى زيد القيروانى صاحب «الرسالة» المشهورة عن رجل سمع جماعة يتذاكرون فى صفة النبى ﷺ، إذ مرّ عليهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم: تريدون أن تعرفوا صفته؟ هى صفة هذا المارّ فى خَلقه وخُلقه وهيئة لحيته، فأفتى بقتله، ولا تقبل توبته .

وقال الشيخ أحمد بن أبى سليمان صاحب سحنون: من قال: إن النبى ﷺ أسود، يُقتل.

والحوادث من هذا القبيل كثيرة، ذكر جملة منها القاضى عياض فى «الشفا» رحمه الله ورضى عنه[2] .

وقال حبيب بن الربيع القروى: مذهب مالك وأصحابه أن من قال فى حق النبى ﷺ ما فيه نقص، قُتل دون استتابة .

وقال ابن عتاب: نص الكتاب والسنّة موجبان أن من قصد النبى ﷺ بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل، فقتله واجب .

= والإسلام يقضى بمحاكمة عادلة كما قلت، وأعطى للمتهم حق الدفاع عن نفسه وأوجب الإسلام أيضاً أن يطلب منه قضائه أثناء المحاكمة التوبة، بل عليهم أن يكشفوا له عن خطئه وأن يزيلوا الشبهات التى دعته إلى الضلال، ويترك له الفرصة للتوبة أقلها مدة ثلاثة أيام .

بمعنى ألا يهدر دم سلمان رشدى ـ كما فعل آيات الله فى طهران ـ دون محاكمة عادلة .

هذا ما يقوله الدين الإسلامى الذى أساء إليه سلمان رشدى، ولذلك فإن بعض المسلمين ـ خاصة فى مصر ـ بدعوى الفرنجة والمصالح مع الغرب يقولون أن هذه حرية الفكر .. وهى ليست حرية فكر يرددونها كالببغاوات مثل الأجانب، إنها مغامرة لا تستحق الإقدام والتقدير من المسلمين، فشريعة الإسلام توجب المحاكمة العادلة .

بمعنى أن آيات الله أساءوا إلى الإسلام .. ربما من حيث لا يدرون .

ولو هم نشروا فى العالم حكم الشريعة الإسلامية فى المارقين من أمثال سلمان رشدى .. لربما هو ندم على ما فعل وتاب إن كان مسلماً .. ولربما أيضاً كسب الإسلام أرضاً جدديه فى أركان التنصير والتبشير والاستشراق .

(١) بالحاء المهملة لأنه ﷺ كان يحمل حاجته ولا يدع أحداً يحملها عنه . فمن وصفه بالحمال ذماً له فإنه يقتل .

(٢) هذا الكتاب يسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الأسنوى الشافعى . وخرج جلال الدين السيوطى أحاديثه وسماه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الصفا . ولقد أفرد باباً كلام فى حكم سب النبى ﷺ وآراء العلماء فى ذلك وأفاض ذلك من ص ٢٨٥ : ٢٩٥ .

قال القاضى عياض: فهذا كله ـ أى ما فيه أية أو تنقيص له ـ مما عدّه العلماء سباً، يجب قتل قائله، لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متأخرهم . أهـ .

والحوادث التى حكاها القاضى عياض وغيره، نُفذ حكم القتل فى مرتكبيها مسلمين كانوا أو نصارى، إذ كانت الحدود قائمة، وحكم الإسلام نافذ .

أما فى هذا العصر المتأخر، حيث أحكام الإسلام معطلة ولا يمكن تنفيذها، بل صار الإسلام غريباً فى بلاده، تقابل أحكامه منهم باستنكار واشمئزاز، لا يلقاه العلماء المخلصون الغيرٌ على دينهم .

خذ مثلاً طه حسين، كذّب القرآن الكريم(١)، وجرأ طلبته على الطعن فيه وصرح بإباحة الزنا، وعُيِّن بعد ذلك عميداً لكلية الآداب، ثم عميداً للجامعة، ثم وزير المعارف، ثم مُنح لقب باشا، ثم عُين رئيساً لمجمع اللغة العربية، ثم مُنح لقب عميد الأدب العربى، فكان كفره وإلحاده سبب نيل هذه المناصب الخطيرة .

وله نظراء فى المغرب لا يقلّون عنه فى الكفر والإلحاد طعنوا فى القرآن وسموا بعض قصصه خرافة، كما سموا الأحاديث الصحيحة خرافة أيضاً، وهم مع ذلك يتولون مناصب

---

(١) يقول المؤلف فى كتابه القيم النفيس (خواطر دينية) ما نصه: ألف الدكتور طه حسين كتاباً فى الشعر الجاهلى وذكر فيه كفريات صريحة منها: إنكار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وزعمه أنهما شخصيتان وهميتان لا حقيقة لهما فى التاريخ وأن القرآن لا يكفى دليلاً على وجودهما، وقد رد عليه كثير من العلماء وحول إلى القضاء . وكانت محاكمته مهزلة بسبب السياسة التى تدخلت فى الموضوع . وخرجت المسألة عن كونها غيرة دينية، وحمية إسلامية إلى تنازع بين حزب الأحرار الذى كان يؤيد المؤلف ويعطف عليه، وبين حزب الوفد الذى كان يخاصمه ويحقد عليه .

والحقيقة أن هذا الكتاب الذى أرتد به شق دين الإسلام، واستوجب غضب الله عليه . ليس من تأليفه، وإنما هو نسخة من كتاب: (كلمة فى الإسلام): للمبشر الإنجليزى جرجس يال . وقد ترجمه إلى العربية شخص مجهول يسمى: هاشم العربى . ورشح بعضهم أن مترجمه الحقيقى هو الأديب نصيف البازجى المسيحى المعروف، والعجيب أن طه حسين كتب بعد هذا فى مواضع دينية مثل: (على هامش السيرة)، كأنه يتملق المسلمين! أو يضحك على عقولهم!! ولكن الله ليس بغافل عنه . قد يقال: إنه تاب عما كان فى ذلك الكتاب، وإن كان كذلك، فلم لم يعلن توبته كما أعلن ردته؟ ولنسلم أنه تاب سراً بينه وبين الله ﷻ، فما باله قال فى كتابه «فى الصيف» وقد ألفه بعد الكتاب الأول بمدة: يجب أن ينقد القرآن كأى كتاب أدبى؟ وهل هذه الكلمة تصدر من مؤمن يعتقد أن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ الحقيقة أن الأدباء الملحدين وجدوا الكتابة الدينية تجارة رابحة، درت عليهم أموالاً كثيرة وافرة . فلذلك أقبلوا عليها واتجهوا بكليتهم إليها، وحصلوا على ما طلبوا من المال، ولن تخطر التوبة لهم على بال . {راجع كتاب خواطر دينية لفضيلة الشيخ الغمارى رحمه الله مكتبة القاهرة ص ١٨٦ ـ ١٨٧}.

خطيرة توجيهية فى التعليم وتثقيف الجيل، حتى إنهم قرروا فى المدارس نظرية داروين الخرافية فى النشوء والارتقاء، مع ظهور بطلانها واتفاق المدارس العربية والأوروبية على تركها، فهى لا توجد اليوم إلا فى مدارسنا بسبب هؤلاء الملحدين أفراخ الشيوعية، ولهم مجلات تنشر إلحادهم وطعنهم فى النبى ﷺ، ولا يمسهم أحد بسوء، لأن القانون الأوروبى يحميهم، وهو القانون المعمول به فى البلاد الإسلامية كلها ما عدا الحجاز .

والنصارى(١) لعنهم الله يرضيهم الطعن فى ديننا ويحرضون عليه، ولا يجدون فرصة لذلك إلا انتهزوها .

لما كنت فى لندن، وجدت فى كثير من شوارعها أماكن اللهو والقمار والرقص، ووجدت مكتوباً على أبوابها: مكة، بالأحرف اللاتينية، اتخذوا اسم هذا البلد الذى هو قِبلة المسلمين عنوان الميسر والفجور، وعداوة الإنجليز للإسلام أشد من غيرهم من الكفار لعنهم الله أجمعين .

(١) النصارى: جمع نصران، وهو الممتلئ نصراً، واختلف فى اشتقاق هذا الاسم .
فقال ابن عباس: هو من «ناصرة» وهى قرية من فلسطين كان يسكنها عيسى، فنسبوا إليها .
وقيل: سموا نصارى لتناصرهم، أى ينصر بعضهم بعضاً .
وقيل: نسبة إلى قوله ﷺ: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ﴾ [آل عمران:٥٢] .

الحرية فى الإسلام ليست التهجم على الدين

الحرية التى يلوكها الجهلاء والملحدون، لها حدّ، إذا تجاوزته كانت جريمة يعاقب عليها القانون .

فليس من الحرية التهجم على الدين بالطعن والتزييف وجرح شعور المسلمين، لأن الدين وضع إلهى، والطاعن فيه معترض على الله ﷻ، ولا يعترض عليه إلا كافر ملعون . وسب النبى ﷺ طعن فى الدين وهدم له من أساسه(١) .

قال الله ﷻ:﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ [النساء:٤٦] .

قال ابن كثير فى هذه الآية: ولهذا قال ﷻ عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرون:﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾[النساء:٤٦]، يعنى بسبهم النبى ﷺ.أهـ

وكان الأنصار يقولون للنبى ﷺ: راعنا يا رسول الله، أى ارعنا سمعك، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، معناها الرعونة وهى الحمق، فمعنى راعن أحمق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لهم: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربنَّ عنقه، فأنزل الله ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤] ، لكيلا يجد اليهود لذلك سبيلاً إلى شتم النبى ﷺ .

---

(١) يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى: هل من حرية الفكر أن يؤلف رجل كتاباً ينشره بين الأوروبيين ويهاجم المسيحية .. باللفظ البذئ والكلام القذر .. الذى لا يليق أن ينطق به إنسان .

وهل يقبل المسلمون على نبيهم محمد ﷺ وعلى زوجاته الطاهرات وصحابته الأبرار ما لم يرضه الغرب المسيحى عن عيسى ﷺ .

- إن مؤلف الرواية جعل محورها يدور حول «بغى» افتتحت بيتها للدعارة وجعلت اللافتة الدالة عليه كلمة «الحجاب» تصلح عنواناً لدار بغاء..؟ ثم استأجرت المرأة المتمرسة بالدعارة نساء أخريات أطلقت عليهن أسماء زوجات سيدنا محمد أطهر نساء الأرض وأفضلهن شرفاً وحسباً ونسباً وفضلاً .

فهل هذا منهج يستحق الدفاع عنه فى عرض سير الأنبياء أو حتى سير العظماء .. هل هذا يدخل فى إطار حرية الفكر .. أم هى حرية التطاول والسفه؟

وتوعد الله ﷻ من يؤذى رسوله ﷺ بقوله:﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١] .

وقال ﷻ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧] .

قال المفسرون: إيذاء الله بنسبة الولد والشريك إليه، وإيذاء رسوله بسبه أو نسبة عيب له ﷺ .

وليس من الحرية أيضاً اغتياب مسلم، أو نسبته إلى الفاحشة، لأن الغيبة محرمة بنص القرآن فى قوله ﷻ:﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢] .

والأحاديث كثيرة فى تقبيحها وعظم إثمها .

وسئل النبى ﷺ ما هى الغيبة(١)؟، فقال:«ذكرك أخاك بما يكره» .

قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟، فقال:«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(٢) .

وأوجب الإسلام على من نسب مسلماً إلى فعل الفاحشة أن يُجلد ثمانين جلدة، مع الحكم بفسقه ورد شهادته إلى أن يتوب، والحكمة فى تحريم الغيبة والقذف حفظ كرامة المسلم، وصون عرضه من أن يصيبه ما يخدشه أو يثلمه .

---

(١) الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان فى غيبته وهى فيه، وإن لم تكن فيه فهى بهتان وإن واجهه بها فهو شتم .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة ٧٠ (٢٥٨٩) حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل عن العلاء عن أبيه عن أبى .

ورواه أبو داود فى كتاب البر ٣٥ والترمذى فى البر ٢٣ والدارمى فى الرقاق ٦ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٣٠، ٣٨٤ (حلبى) .

معنى قوله ﷻ: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، كثير من الناس يفهمون هذه الآية على غير وجهها الصحيح، وأنا أبين معناها فأقول[١]:

معنى الآية الكريمة أن اليهودى أو النصرانى لا يُكره على الإسلام بل يُترك على حاله، لأنه متمسك بدين كان صحيحاً قبل نسخه بالإسلام .

أما الشرك وسائر ما يُعبد من دون الله، فليست هذه بدين يعتبره الإسلام، وإنما هى اعتقادات وعادات جاهلية ورثها الأبناء عن الآباء، فهؤلاء لا يُقرون على ما اعتادوه، بل يجب قتالهم حتى يسلموا، ولا تقبل منهم جزية .

وبهذا ثبت الحديث المتواتر عن النبى ﷺ أنه قال:«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وهو تنفيذ لقوله ﷻ:﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:٥] .

لكن استثنى الحديث المجوس[٢] فقال:«سنوا بهم سنة أهل الكتاب» .

---

(١) الإكراه معناه: حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك .

والمراد بالدين دين الإسلام والألف واللام فيه للعهد .

ويرى بعض العلماء أن نفى الإكرا، هنا خبر فى معنى النهى، أى لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام فإنه بين واضح فى دلائله وبراهينه، فمن هداه الله له، ونور بصيرته دخل فيه على بصيرة، ومن أضله وأعمى قلبه لا يفيده الإكراه على الدخول فيه .

وهذه الآية أى قوله:﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، تنفى على الإجبار على الدخول فى الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه إذا التدين إذعان قلبى، واتجاه بالنفس والجوارح إلى رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهاً له ونفوراً منه فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدها ثمرة للآخرة .

(٢) المجوس: هم عبدة النار ويقولون إن للعالم أصلين: النور والظلمة .

وقيل الأصل: إنهم النجوس وذلك لأنهم كانوا يستعملون النجاسات فى تدينهم . ==

وقال على عليه السلام(١): كان لهم كتاب .

والخلاصة: أن أهل الكتاب والمجوس يُقرون على دينهم إذا أعطوا الجزية ولا يُكرهون على الإسلام، لأن لهم فى الأصل ديناً يعترف به الإسلام .

أما غيرهم من بقية أنواع الكفار، فليس لهم دين يُقرون عليه، وإنما يعبدون أشياء تلقوها عن آبائهم كما قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزُّخرف:٢٣] .

وقال الله ﷻ فيهم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف:٤٠] .

وقال قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن معبوداتهم: ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٥٣] .

فهؤلاء يجب قتالهم حتى يُسلموا، لأن بقاءهم فساد فى الأرض، والله لا يحب الفساد . وكذلك الأفكار الهدامة التى حدثت فى هذه العصور مثل الشيوعية وغيرها، لا يجوز تركها، بل يجب قتال أصحابها وقتلهم، وبالله التوفيق .

والمسلم إذا ارتد يجب قتله بعد استتابته إن لم يتب، للحديث الصحيح «من بدل دينه فاقتلوه»(٢) .

= والمجوس هم أقدم الطوائف . وقد نشأت المجوسية فى بلاد الفرس وكانوا نابغين فى عالم التنجيم .
ويقال للمجوسية الدين الأكبر والملة العظمى إذ كانت دعوة الأنبياء بعد الخليل عليه السلام لم تكن فى العموم كالدعوة الخليلية ولا يثبت لها من القوة مثل الملة الحنيفية إذ كان ملوك العجم كلهم على ملة إبراهيم ورعاياهم على أديانهم .

(١) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى أبو الحسن أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبى ﷺ ـ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال ومن أكابر الخطباء بالقضاء وأول الناس إسلاماً بعد خديجة . ولد بمكة عام ٢٣ ق هـ . توفى مقتولاً عام ٤٠هـ .

(٢) الحديث رواه الإمام البخارى فى كتاب الجهاد ١٤٩، وكتاب الاعتصام ٢٨، والاستتابه ٢، ورواه أبو داود فى كتاب الحدود والترمذى فى كتاب الحدود ٢٥، ورواه الإمام النسائى فى التحريم ١٤، وابن ماجه فى الحدود باب المرتد عن دينه ٢٥٣٤ ـ حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا سفيان بن عيينه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره . ورواه الإمام أحمد بن حنبل فى المسند: ٤٢، ٤٧، ٣٨٢ .

موقف الدول الإسلامية من الكتب التى تهاجم الإسلام

سكوت الدول الإسلامية عن كتاب «آيات شيطانية» أبان عن تقصير كبير، وفقدان الغيرة الدينية من قلوبهم، لاسيما وفى هذه الدول من تدعى السهر على حماية العقيدة الإسلامية، مع أن الطعن فى الرسول هدم للدين من أساسه .

كان الواجب عليهم أن يحتجوا على الدولة الإنجليزية التى طبعت الكتاب ونشرته، ويقرروا منع تداوله فى بلادهم، ويبينوا للعالم ما فى الكتاب من كذب وافتراء(١) .

هذا أقل ما يجب، ولم يفعلوه، فما حجتهم عند الله ﷺ؟ والعجيب أن بعض الدول الكافرة منعت دخول ذلك الكتاب فى بلادها مراعاة لشعور المسلمين الذين لم يحركوا ساكناً

---

(١) فجأة يوم الثلاثاء ١٤ فبراير عام ١٩٨٩م نقلت وكالات الأنباء من إيران أن إذاعة وتليفزيون طهران قطعا برامجها ليعلنا على الشعب فتوى هامة وأمراً صادراً عن الإمام الخمينى . وجاء فى الأمر: إباحة دم سلمان رشدى، وكل من ساهم فى نشر أو توزيع أو ترويج كتاب «أشعار شيطانية» وطالب الأمر بضرورة قتل هؤلاء فوراً .. وإن قتلهم جهاد فى سبيل الله .. ومن يقتل وهو يقوم بهذا العمل شهيداً من أجل الله .

ثم أعلن مسئول إيرانى عن مكافأة قدرها ثلاثة ملايين دولار لمن يأتى برأس مؤلف الآيات الشيطانية إن كان من الإيرانيين ثم ارتفعت المكافأة بعد يومين إلى خمسة ملايين دولار دون تحديد لهوية صاحب العمل البطولى .

• كان سليمان رشدى حتى صدور فتوى الإمام الخمينى ينعم بحياة سعيدة فى ظل الأضواء المسلطة عليه .. لم يعبأ فى البداية وصرح لبعض الصحف أن الخمينى لم يقرأ روايته وأنه لم يكتبها ضد الإسلام بقدر ما كانت ضد بعض الأفكار البالية التى رسخت فى النفوس على مر الزمان؟

كما أصدرت دار النشر ـ «بنجوين» بياناً أعلنت فيه أسفها لأن الرواية التى هى من خيال المؤلف ـ سببت ضيقاً أو كرباً فى نفوس المسلمين .. وأنها قامت بهذا العمل إعمالاً لحرية النشر . أنها رفضت وصف الكتاب بأنه سئ للإسلام لأن المسلمين انقسموا حول مضمونه .

• ثم أصدر مؤلف الكتاب بياناً آخر قال فيه .. إنه سيترك منزله فى ضاحية لندن إلى مخبأ أمن فى الريف الإنجليزى .. ودعا الحكومة إلى حمايته، والأدباء إلى التضامن معه دفاعاً عن حرية التعبير ومن يومها وهو يعيش فى رعب وقلق خوفاً من تصيد وخطف رأسه وتسليمها للخمينى .. وصار حياً ميتاً .

• وتلقف الإعلام الأوربى القضية ليجعلها قضية قومية .. تدخلت فيها الحكومات الأوربية لدى الحكومة الإيرانية لتوضيح موقفها . وتحت ستار الدفاع عن الحرية أصبح المؤلف الشيطان بطلاً تكاتفت دول السوق الأوربية مجتمعة على حماية حياته .. ولم تعبأ بمشاعر المسلمين ومقدساتهم .. وأصبحت حياة شخص أهم من مصالح أمة .. وصار الدفاع عن فكر فرد ساقط أولى من الحفاظ على مشاعر مليار مسلم .

موقف الدول الأوربية المتعاطفة مع الشخص الذى أهان المقدسات الإسلامية .. أشعل نار السخط والغضب فى معظم الدول الإسلامية ضد «المؤلف» واختلفت الآراء حول مصيره . (كلام المحقق) .

ولا نطقوا فى هذا الموضوع ببنت شفة(١)!!

وصدق الشيخ محمد عبده الذى قال: لعن الله مادة اس يسوس، وما تصرّف منها .

ونأسف غاية الأسف على ذهاب الغيرة الإسلامية من قلوب المسلمين ومن وجدانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(٢) .

وقد حصلت حادثة من هذا النوع، أظهر فيها مسلم من قوة الإيمان ما لا يوجد عند كبراء المسلمين وزعمائهم الذين يتصدّرون المجالس، ويتشدّقون بالخُطب الحماسية الجوفاء!.

---

(١) سمعت فى الأخبار اليوم أن آلافاً من الناس تظاهروا فى لندن وطالبوا الحكومة الإنجليزية بمنع تداول كتاب «آيات شيطانية» فى الأسواق كما طالبوها بس قانون بمنع الطعن فى الدين . وفى العقيدة الإسلامية . يحصل هذا فى لندن والمسلمون فى نوم عميق . (كلام المؤلف) .

(٢) وبالفعل كانت هناك ردود غاضبة تتمثل فى:

- طالب المجمع الفقهى الإسلامى خلال انعقاده فى السعودية بضرورة تطبيق حد الردة على الزنديق سلمان رشدى .
- المجلس الأعلى الإسلامى بالجزائر: قال يجب محاكمة المرتد سلمان رشدى لاستخفافه بالإسلام، وتشويه سمعة النبى ﷺ .
- أدان القادة المسلمون فى باكستان المجموعة الأوربية لمساندتهم مؤلف كتاب المرتد .
- طالبت الهيئات الإسلامية فى صنعاء بأن تقوم منظمة المؤتمر الإسلامى بإجراء مشاورات عاجلة مع الدول الأعضاء لاتخاذ موقف موحد ضد الكتاب ومؤلفه .
- أكد الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى أن ما جاء فى كتاب المرتد سلمان رشدى لا يعتبر من قبيل حرية الرأى، وإنما هو فى نطاق جرائم العدوان والإيذاء بالكلام السافل الذى يمس الكرامات المصونة للأنبياء .
- وطالب الدكتور نصيف بإقامة دعوى قضائية أمام المحاكم البريطانية ضد مؤلف الكتاب ودار النشر الإنجليزية .
- وفى السعودية أصدر مجمع الفقه الإسلامى بياناً باسم علماء الإسلام أعلن فيه خروج مؤلف كتاب «آيات شيطانية» عن ملة الإسلام . وحكم عليه بالردة . واستنكر دفاع الدول الأوربية عنه وحمايته .
- أصدر مجمع البحوث الإسلامية فى القاهرة قراراً بحظر دخول هذا الكتاب إلى مصر وبمحاكمة مؤلفه على أساس أنه مرتد عن الإسلام .
- أصدرت اللجنة المتحركة للشئون الإسلامية فى بريطانيا بياناً حذرت فيه المسلمين من قراءة هذه الرواية ثم طلبت إلى دار النشر التى طبعت الرواية أن تكتب على الغلاف هذا الكتاب يسئ إلى الإسلام فرفضت رفضاً باتاً .

هذه هى ردود الفعل الغاضبة عند الهيئات الدينية فى العالم الإسلامى .

أما على مستوى الشعوب فإن فوارق الغضب بلغت أشدها، وأنبرت الأقلام الإسلامية ترد على افتراءات هذا الأثيم، وتنسف مزاعمه، وتبدد أوهامه وتمزق نسيج روايته التى هى أوهى من بيت العنكبوت .

(بتصرف من كتابُ «آيات سماوية» فى الرد على كتاب «آيات شيطانية» لفضيلة الدكتور شمس الدين الفاسى ﷺ دار مايو الوطنية للنشر ٨٩ ص ٥٥، ٥٦)

قرأت فى جريدة الأهرام المصرية خبر عن شاب هندىّ اسمه عبد القيوم، سمع الحاكم الإنجليزى للهند يشتم النبى ﷺ، فقتله، والإنجليز كانوا فى الهند ظلمة جبارين، فاستكثروا هذه الجرأة واستعظموها وقدموه للمحاكمة، وحكم بإعدامه، فلما سمعت أمة الحكم عليه، زغردت فرحاً، وقالت: ابنى يموت شهيداً، وصدقت، فإنه مات شهيداً، رضي الله عنه وعنها .

وهكذا تكون الغيرة الإيمانية، والحمية الإسلامية، لا دعاوى تُقال، وألفاظ تذهب مع الريح هباء منثوراً .

النبى أفضل الخلق على الإطلاق

رأيت المبتدع الألبانى اعترض على الدكتور سعيد رمضان البوطى فى قوله: النبى ﷺ أفضل الخلق . وسأل مستنكراً: ما دليله على هذه العدوى؟ وزعم أن فى المسالة خلافاً أحال به على (شرح العقيدة الطحاوية) .

وهذه المسألة أفردتها بكتاب سميته «دلالة القرآن المبين على أن النبى أفضل العالمين»(١) وقد طُبع منذ مدة، والحمد لله . ولكن سأبين هنا بطلان كلام هذا المبتدع

(١) يقول فضيلته فى ذلك كلاماً نفيساً ما نصه:

قال الزمخشرى: أو لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق متعنتين . هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل، كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون فى مكان دون مكان . إن فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان، إلى آخر الدهر، لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر(١)، وتذكرة لقوم يؤمنون أهـ . فإذا نظرنا إلى ما فى القرآن من دلائل خاصة، تقتضى على قدره عليه الصلاة والسلام . مضافاً إلى ما سبق . انتهينا إلى نتيجة ذات وجهين متلازمين:

«أحدهما» أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات يقيناً لا يدخله احتمال، إذ ليس من المعقول أن يترك الكتاب العظيم على شخص يكون فى عالم الوجود من هو أفضل منه .

«ثانيهما» القطع بخطأ من فضل عليه الملائكة، وهو ابن حزم . أو فضل عليه جبريل عليه السلام وهو الزمخشرى . لأن القرآن بجملته وتفاصيله، تشريف لم ينله ملك ولا رسول . ولأن فى آياته وبعض سوره، ما يفيد تفرد النبى ﷺ بمناقب لم يعطها جبريل عليه السلام .

وإيضاح هذه النتيجة بوجهيها هو مقصدنا من هذا المؤلف الذى اعتمدنا فيه على فضل الله . وعلى ما يفتح به فى فهم آيات كتابه . وهو مما منحناه فى هذه المحنة التى نرجو من الله تفريجها عاجلاً . بقى وجه ثالث، يلحق بالوجهين السابقين، وهو: أن المفاضلة بين بقية الأنبياء والملائكة ظنية، لأنها لا تستند لدليل قاطع . فنحن نعتقد أن الأنبياء عليهم السلام، أفضل من الملائكة، ولكن لا نقطع بذلك ولا نجزم به، كما لا نطبع بخطأ من فضل عليهم الملائكة . وهم ابن حزم والمعتزلة وكثير من الأشعرية، منهم الإمام الرازى فى بعض كتبه، لأن بعض الأدلة يقتضى ذلك، مثل قوله ﷻ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ، فهذه الآية تفيد أفضلية الملائكة على عيسى عليه السلام، وإن عنها علماء الأشعرية(٢) . وأمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، يقتضى أفضليتهم عليه، كما استنبطه بعض علماء المالكية، حسبما بينته فى قصة آدم عليه السلام . فالقطع بتفضيل أحد الطرفين على الآخر، لا يمكن، وإنما هو ظن غالب، يتجه إلى هذا الجانب أو ذاك، وقد نص الأشعرية وغيرهم على هذا، لكن لم يصرحوا بأن أفضلية النبى ﷺ قطعية فيما أعلم . ولعلهم لم يتفطنوا لما أثبتناه فى هذا الكتاب، إلا أن الإمام الرازى لما حكى الخلاف =

(١) أى لا يقدر على شكرها . لعظم النعمة بها عظماً يجل عن الشكر .

(٢) والذى اعتقده فى خاصة نفسى ـ وهو الصواب إن شاء الله ـ أن الملائكة أفضل من الأنبياء غير إبراهيم وموسى عليهم السلام ، أما الأول: فإن الله ﷻ اختصه بالخلة . وأما الثانى: فإن الله ﷻ كلمه تكليماً . وبذلك كانا أفضل من الملائكة .

= في المفاضلة . ورجح تفضيل الملائكة، استثنى النبي عليه الصلاة والسلام من الخلاف، وقال: إنه أفضل من الملائكة وغيرهم بلا نزاع، فقد يفهم منه أن أفضليته عليه الصلاة والسلام قطعية، وفى الجوهرة: وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق .

هذا، ومن الشذوذ بمكان، ما نقله العارف الشعرانى فى الباب الرابع عشر من (المنن الكبرى)، حيث قال: وقع فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أن شخصاً زعم أن إبراهيم أفضل من النبى ﷺ، مستنداً إلى تعليمه عليه الصلاة والسلام للصحابة الصلاة الإبراهيمية حين سألوه: كيف نصلى عليك؟ بناء على قاعدة أهل المعانى من أن المشبه به أعلى من المشبه، ثم قال ـ بعد كلام فى الرد عليه ـ: وقد انتصر علماء مصر . وصنفوا فى الرد على هذا الشخص ـ بتقدير ثبوت ذلك عنه ـ كسيدى محمد البكرى، وسيدى محمد الرملى، وناصر الدين الطبلاوى، والشيخ نور الدين الطندتائى وقرئت تلك المصنفات على رؤوس الأشهاد، بحضرة خلائق لا يحصون .

قلت: يظهر أن ذلك الشخص كان ضعيفاً فى علم المعانى . إذ من المقرر فيه أن الغرض من التشبيه إلحاق الأدنى بالأعلى نحو زيد كالبدر . أو إلحاق متأخر بسابق فى معنى من المعانى، من غير ملاحظة تفاوت بينهما فيه، والصلاة الإبراهيمية من هذا القبيل . إذ أن معناها: اللهم صل على محمد كما حصلت منك الصلاة على إبراهيم . وليس هنا أدنى ولا أعلى . لأن الصلاة على إبراهيم منشؤها نبوته، لا أفضليته . ونظير هذا قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥]، شبه الله فى هذه الآية استخلاف الأمة المحمدية ـ وهى المشبه ـ أعم وأكمل من استخلاف اليهود المشبه به، وهذا واضح لا خفاء فيه . فاستشكال التشبيه فى الصلاة الإبراهيمية، أو أخذ أفضلية إبراهيم منه، ناشئ عن ضعف فى علم المعانى، أو نسيان لقواعده .

وحكى الشعرانى أيضاً فى (طبقات الأولياء) عن العارف أبى المواهب الشاذلى . أنه قال: وقع بينى وبين شخص من الجامع الأزهر، مجادلة فى قول صاحب البردة:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

وقال: ليس دليل على ذلك . فقلت له: قد انعقد الإجماع على ذلك، فلم يرجع فرأيت النبى ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، جالساً عند منبر الجامع الأزهر . وقال لى: مرحباً بحبيبى . ثم قال لأصحابه: أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: إن فلاناً التعيس، يعتقد أن الملائكة أفضل منى . فقالوا بأجمعهم: ما على وجه الأرض أفضل منك، فقال لهم: فما بال فلان التعيس، يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلى؟! أما علم مخالفة المعتزلة لأهل السنة، لا تقدح فى الإجماع؟! .

قلت: وقع من بعض المتحذلقين أقبح من هذا فقد رأى تأليفى «الأحاديث المنتقاة فى فضائل سيدنا رسول الله» وهو كتاب انتقيته من الأحاديث الصحيحة، فاستعاره منى، ولما رده بعد قراءته، قال لى: أنت إمام فى تأييد الخرافات . فاعتبر الأحاديث الصحيحة الثابتة فى فضل النبى ﷺ، وفى ذكر بعض معجزاته خرافات، وهذا مما دعانى إلى التعجيل بتأليف هذا الكتاب الذى سميته (دلالة القرآن المبين . على أن النبى أفضل العالمين) وسيجد القارئ فيه ما يجدد إيمانه، ويقوى عقيدته ويفحم به مناظره إن كان لا يقنعه الإجماع، ولا يلتزم السنة . ويجب أن أشير إلى أمرين هامين:

«الأول» قد يظن بعض الناس إلى أن أفضلية النبى ﷺ، ليست ذات أهمية فى الدين، وهذا خطأ كبير ممن يظنه، بل لها أهمية كبرى، لأن تصحيح العقيدة يتوقف عليها، لاسيما فى هذا العصر الذى كثر فيه الجهل بالدين أصوله وفروعه .

ولقد سئل بعض أهل العلم مرة: ما الدال على أن النبى ﷺ أفضل من نوح ﷺ؟ مع أن نوحاً لبث يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، بنص القرآن فلم يسعفه علمه بالدليل .

وقال لى بعض الصحفيين مرة: أنا اعتقد أن عيسى أفضل من النبى عليهما الصلاة والسلام . قلت: لم ذلك؟ =

= قال: لأن عيسى ولد من غير أب، فلم يكن من النطفة المستقذرة . قلت له: فعلى هذا تكون ناقة صالح ﷺ أفضل من عيسى أيضاً . لأنها خرجت من صخرة، ولم تخرج من الفرج الذى هو مخرج البول! ولو كان التفضيل منوطاً بهذا، كان آدم ﷺ أفضل الرسل على الإطلاق، لأنه خلق من غير أب ولا أم، فلم تقذفه نطفة، ولا ضمه رحم . ولأنه عاش ألف سنة، كما فى الصحيح، دعا فيها أولاده إلى الله ﷺ . ولكن التفضيل فى الحقيقة، منوط بخصال الكمال التى يتحلى بها النبى، مع المزايا التى يهبها الله ﷺ له . على هذا الأساس يتفاضل الرسل والأنبياء وغيرهم، وهذا الأساس نفسه، هو مبنى أفضلية النبى ﷺ . أما خصال الكمال التى كان يتحلى بها فينبئ عنها قول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] ، ولم يثن بهذا على نبى ولا رسول . فأفاد أنه متفرد بهذا الخلق . وسئلت عائشة ﷺ : كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟، فقالت: كان خلقه القرآن . ومعنى هذا الجواب الوجيز الجامع: أن ما فى القرآن الكريم من أخلاق وآداب وفضائل ومكارم يتمثل فى شخصه عليه الصلاة والسلام . ولذا قال البوصيرى ﷺ:

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وأما المزايا التى يوهبه الله إياها فكثيرة . مثل دفاع الله عنه، ونداثه بوصف النبوة والرسالة، ونهى المؤمنين أن ينادوه باسمه المجرد، وتجنيد الملائكة للقتال معه، وإنذارهم على لسانه، وعموم بعثته، وختمه للنبوة، وإقسام الله بحياته، وغير ذلك مما يتحدث عنه هذا الكتاب .

ولاشك أن إثبات هذه المزايا، وتلك الأخلاق له ﷺ، واعتقاد اتصافه بها، واجب شرعاً . تتوقف عليه صحة عقيدة المسلم، كما صرح به العلماء لأن كتاب الله تحدث بها فى صراحة ووضوح . به السنة المتواترة والإجماع عليها من الأمة بجميع فرقها . وهذا معنى أفضليته عليه الصلاة والسلام . لأننا نعلم أنه لا يوجد نبى ولا رسول ولا ملك جمع هذه الصفات كلها غيره . وإذاً فلا يوجد من يساويه، فضلاً عن أن يفوقه . ومن هنا قطعنا بأفضليته عليه الصلاة والسلام، كما قطعنا بخطأ من فضل الملائكة أو الرسل عليه، وهو - أعنى من فضل ملكاً أو رسولاً عليه - إما متناقض لاعتقاده ثبوت معنى الأفضلية له ﷺ، مع إثبات لفظها لغيره . وإما غافل عن أن ثبوت المعنى لشئ، يلزمه ثبوت اللفظ لذلك الشئ، ضرورة أن اللفظ لازم للمعنى وتابع له .

«الثانى» قد يقال: جاءت أحاديث تفيد عدم أفضلية النبى ﷺ، وهى قوله ﷺ - لمن قال له: يا خير البرية - «ذاك إبراهيم»(١)، وقوله ﷺ:«لاتفضلونى على يونس»، وقوله ﷺ:«يصعق الناس فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بالعرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقته يوم الطور»، وقوله ﷺ - من حديث - «فعرفت فضل علمه بالله على» يعنى جبريل ﷺ . ولنا فى الجواب عن هذه الأحاديث مسلكان:

«الأول» الترجيح . وذلك أن الأحاديث المذكورة أخبار آحاد، والأفضلية ثابتة بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، فتكون راجحة بلا نزاع .

«الثانى» الجمع . وهو من وجهين:

«أحدهما» أن تلك الأحاديث خرجت مخرج التواضع، مع الإشارة إلى حفظ رتبة يونس ﷺ، حتى لا يتسرب إلى النفوس ما يغض من مقامه الكريم، بالنسبة لما حصل له، على أن حديث الصعق لا علاقة له بالأفضلية، لأن موسى ﷺ إن كان لا يصعق يوم القيامة، مجازاة له بصعقه يوم الطور، فالأمر واضح . وإن كان يصعق ويفيق أول واحد فتلك ميزة حقاً؟ يقابلها من جانب النبى ﷺ فى ذلك اليوم مزايا: أهمها الشفاعة العظمى التى يتأخر عنها موسى نفسه، ويتقدم لها نبينا ﷺ . تتلوها شفاعات منه مقبولة . حتى يقول له مالك خازن النار: ما تركت لغضب ربك فى أمتك من بقية . وحتى يناديه ربه: أقد رضيت يا محمد؟، فيقول: ألا رب رضيت . ثم تقدمه لباب الجنة يستفتحها، فيقول له خازنها: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك . =

(١) هذا الحديث يفيد أنه أفضل الخلق بعد نبينا ﷺ . ثم يليه موسى.

الجاهل، وأثبت أفضلية النبى ﷺ بأدلة من الكتاب والسنة بحول الله وتوفيقه .

وأول خطأ فى كلام هذا المبتدع: دعواه وجود الخلاف فى المسألة، وأنه موجود فى (شرح العقيدة الطحاوية)[1]، والخلاف الموجود فى الكتاب المذكور، هو فى المفاضلة بين الأنبياء والملائكة بوجه عام، ولم يتعرض لأفضلية النبى ﷺ، لأنها مجمع عليها بين العلماء، ولم يشذ عن إجماعهم إلا اثنان: ابن حزم[2] والزمخشرى[3]، وشذوذهما لا يؤثر، بل الإجماع

== «ثانيهما» أن تلك الأحاديث صدرت من النبى ﷺ قبل أن يعلمه الله بأفضليته عنده . بيان ذلك: أن الله ﷻ والى إفضاله على نبيه وقتاً بعد وقت، ولحظة بعد لحظة . فكان أول ما قال له فى الإنذار ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ثم ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام:٩٢] ثم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] ، ثم صرف إليه الجن، وبعثه إليهم أيضاً . ثم عمم بعثته فقال:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] ، ثم أسرى به وأراه من آياته، ما زاده رفعة وعلواً . ثم لما أمره بالجهاد أمر الملائكة بأن يجاهدوا معه، ويكونوا من جنده، وهكذا كلما مرت على النبى ﷺ لحظة، زاد فى نفسه فضلاً، ونال من مولاه موهبة، وكلما نزلت عليه آية أو سورة ازداد بها علماً وقرباً . فكان علمه بأفضليته على المخلوقات، متأخراً عن صدور تلك الأحاديث منه . وقد قال ﷺ بعدها: «أنا سيد ولد آدم» وقال أيضاً: «رأيت ربى ـ يعنى فى المنام ـ فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى يا رب، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها فى صدرى، فتجلى لى كل شئ وعرفت» الحديث وهو صريح فى أن الله تجلى عليه بصفة العلم، فكشف له عن كل معلوم، وبناء عليه يكون أعلم من جبريل عليه السلام ولما شمس البراق حين أراد النبى ﷺ .

وهذا الحديث يرد ما أفاده كلام الغزالى فى أواخر كتاب التفكر فى الإحياء . من أعلمية الملائكة المقربين على النبى ﷺ، حيث قال ـ أثناء بيان تفاضل المخلوقات فى العلم ـ وكل ما عرفناه قليل نزر حقير، بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء، وما عرفوه قليل نزر حقير، بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد ﷺ، وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفه الملائكة المقربون، كإسرافيل وجبريل وغيرهما أهـ. وهذا خطأ لا ندرى كيف وقع فيه؟ وقد رد عليه القطب الكبير عبد العزيز الدباغ فى (كتاب الإبريز) .

ولما شمس البراق حين أراد النبى ﷺ ركوبه ليلة الإسراء، قال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض البراق عرقاً . وجبريل ركب البراق مع الأنبياء، فهذه شهادة منه بأن النبى ﷺ أفضل منه ومن الأنبياء عليهم السلام .

(تنبيه) حديث «فعرفت فضل علمه بالله على» رواه البزار من حديث أنس، وفى محفوظى أن إسناده ليس على شرط الصحيح . وبقية الأحاديث المذكورة كلها صحيحة، وبالله التوفيق .

انظر دلالة القرآن المبين على أن النبى أفضل العالمين للمؤلف ؒ القاهرة ص ٦ : ١٢ بتصرف .

(١) بالاطلاع والقراءة فى كتاب (شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية) تأليف على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى قد تكلم عن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة فقط وأفاض فى ذلك من ص ١١ : ٢٣ الجزء الثانى ؒ المعارف ـ الرياض ١٩٨٢ تحقيق الدكتور عميرة .

(٢) ابن حزم على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى أبو محمد، عالم الأندلس فى عصره ولد بقرطبة . وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة . فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف . فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء . ==

حجة عليهما .

وبلغنى عن هذا المبتدع أن ينكر الإجماع[٢]، مثل بقية مبتدعة العصر، مستندين إلى قول نُسب إلى الإمام أحمد فى نفى الإجماع، وهو خطأ عليه .

قال ابن القيم فى «إعلام الموقعين»[٣]: (ولم يكن ـ يعنى أحمد ـ يقدم على الحديث

= وله مؤلفاته الكثيرة منها: الأحكام لأصول الأحكام ـ الزهد فى الرذائل ـ الفصل فى الملل والنحل ـ طوق الحمامة . توفى أواخر شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة .

(١) الزمخشرى: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن الحنفى المعتزلى الملقب بجار الله ولد سنة ٤٦٧هـ بقرية تسمى زمخشر من قرى خوارزم، تنقل بين كثير من البلاد وأخذ العلم من كبار العلماء وتتلمذ عليه الكثيرون، وهو إمام فى التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب .

ومن مؤلفاته: أساس البلاغة فى اللغة ـ المفصل فى النحو ـ رؤوس المسائل فى القصة ـ الكشاف. توفى: ٥٣٨هـ .

(٢) حكم منكر الإجماع: الأثر المترتب على القطع بحجية الإجماع أو ظنيته يظهر فى حكم إنكاره فمن قال أنه قطعى حكم بكفره من أنكره، ومن قال بظنيته لم يحكم بكفره .

وفى ذلك يقول الآمدى: «اختلفوا فى تكفير جاحد الكم المجمع عليه فأثبته بعض الفقهاء، وأنكره الباقون، مع اتفاقهم على أن إنكار حكم الإجماع الظنى غير موجب للتكفير .

والمختار إنما هو التفضيل: وهو أن حكم الإجماع أما أن يكون داخلاً فى مفهوم اسم للإسلام كالعبادات الخمس، ووجوب اعتقاد التوحيد والرسالة أو لا يكون كذلك، كالحكم بحل البيع وصحة الإجارة ونحوه فإن كان الأول فجاحده كافر لمزايلة حقيقة الإسلام له وإن كان الثانى فلا وممن ذهب مذهب الآمدى: ابن مفلح، وابن الحاجب، والطوفى وغيرهم .

وقال القاضى أبو يعلى، وأبو الحطاب وغيرهما: لا يحكم بكفره، وإنما يكون فاسقاً .

وفى المحلى على جمع الجوامع: جاحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصوم، وحرمة الزنا والخمر كافر قطعاً لأن جحده يستلزم تكذيب النبى ﷺ وما أوهمه كلامه الآمدى وابن الحاجب أن فيه خلافاً، ليس بمراد لهما وكذا المجمع عليه المشهور بين الناس، المنصوص عليه، كحل البيع جاحده كافر فى الأصح، وقيل: لا يجوز أن يخفى عليه .

(٣) ابن القيم: هو محمد بن أبى بكر بن سعد بن حريز الزرعى ثم الدمشقى، الملقب بشمس الدين المكنى بأبى عبد الله والمعروف بابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١ ـ كان رجلاً طيب القلب واسع الصدر، كثير التودد لا يحد أحداً ولا يحقد عليه، ولا يؤذى شخصاً ولا يستعيبه .

ومن مؤلفاته: زاد المعاد ـ شفاء العليل ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ـ هداية الحيارى من اليهود والنصارى .

أن مقامه المحمود: هو كون آدم ومن دون تحت لوائه يوم القيامة من أول عرضاتها إلى دخولهم الجنة، وإخراج من يخرج من النار فأول مقاماته المنادى وتحميده ربه وثناؤه عليه بما ذكر وبما الهمه محامده ثم الشفاعة من إراحة للعرض وكرب المحشر، وهذا مقامه الذى حمده فيه الأولون والآخرون ثم شفاعته لمن لا حساب عليه من أمته، ثم لمن يخرج من النار، حتى لا يبقى فيه من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ثم يتفضل الله ﷻ بإخراج من قال: لا إله إلا الله، ومن لم يشرك بالله شيئاً، ولا يبقى فى النار إلا المخلدون وهذا آخر عرصات القيامة ومثاقل الحشر فهو فى جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد ﷺ .

الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف الذى يسميه كثير من الناس إجماعاً . وقد كذَّب أحمد من ادعى هذا الإجماع، وكذلك الشافعى . قال فى رسالته: ما لا يُعلم فيه خلاف فليس إجماعاً) .

فهذا هو الذى أنكره الإمام(١) أحمد والشافعى(٢) من دعوى الإجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

وقال غيره: أنكر الإمام أحمد الإجماع الذى يحكيه الأصمّ وبشر المريسى على آرائهما، مع جهلهما بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف، والإمام أحمد نفسه حكى الإجماع فى مسائل معروفة عند الحنابلة .

ولا تغتر باستبعاد الشوكانى فى «إرشاد الفحول»(٣) لإمكان الإجماع، وإمكان نقله، متأثراً بكلام النظام المعتزلى(٤)، وزاد فنقل عن الإمام أحمد أنه قال: من ادعى وجود لإجماع

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى إمام المذهب الحنبلى وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والى سرخسى ولد ببغداد عام ١٦٤هـ سافر إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن وغير ذلك . صنف المسند فى الحديث

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب الشافعية . ولد فى غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ وحمل منهلاً إلى مكة وزار بغداد وقصد مصر وتوفى بها عام ٢٠٤هـ . أفتى وهو ابن عشرين سنة له تصانيف أشهرها كتاب الأم جمعه البويطى .

(٣) كتاب (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) للإمام الحافظ محمد بن على الشوكانى قد فتح آفاقاً واسعة للبحث والمناقشة وأضاف إلى علم الأصول وإضافات جديدة، وفتح أمام العلماء أبواباً من البحث والاجتهاد من خلال عرضه لآراء العلماء ومستندهم فى كل مسألة بعد تحرير محل الخلاف ومنشه ثم بمناقشة كل دليل وبيان الراجح من المرجوح .

(٤) النظام وبعض الشيعة قالوا بإحالة إمكان الإجماع وحجتهم فى ذلك:

إن اتفاقهم على الحكم الواحد، الذى لا يكون معلوماً بالضرورة محال، كما أن اتفاقهم فى الساعة الواحدة على المأكول الواحد، والتكلم بالكلمة الواحدة محال .

وأجيب: بأن الاتفاق إنما يمتنع فيما يستوى فيه الاحتمال كالمأكول المعين، والكلمة المعنية أما عند الرجحان بقيام الدلالة أو الإمارة الظاهرة فلك غير ممتنع، وذلك كاتفاق الجمع العظيم على نبوة نبينا محمد ﷺ .

قالوا ثانياً: إن اتفاقهم فرع تساويهم فى نقل الحكم إليهم، وانتشاره فى الأقطار يمنع نقل الحكم إليهم .

وأجيب: بمنع كون الانتشار يمنع ذلك مع جدهم فى الطلب، وبحثهم عن الأدلة وإنما يمتنعن ذلك على من قعد فى قعر بينه لا يبحث ولا يطلب .

قالوا ثالثاً: الاتفاق إما عن قاطع أو ظنى وكلاهما باطل: أما القاطع فلأن العادة تحيل عدم نقله، فلو كان لنقل، فلما لم ينقل ـ: علم أنه لم يوجد كيف ولو نقل لأغنى عن الإجماع وأما الظنى: فلأنه يمتنع الاتفاق عادة لاختلاف الأفهام وتباين الأنظار . ==

فهو كاذب، ولفظ (وجود) لم يقله أحمد، بل أضيف إليه ممن ينكرون الإجماع[1] .

والشوكانى كان زيدياً معتزلياً[2] ـ والزيدية معتزلة ـ ولما ترك مذهبه وانضم إلى أهل السنة، بقى عنده بقايا من أثر الاعتزال، منها إنكار الإجماع .

ونظير هذا أن كعب الأحبار كان من علماء اليهود، وهم لا يعتقدون عصمة الأنبياء فلما أسلم بقيت معه عادته تلك، فكان فى قصصه عن الأنبياء ينسب إلى بعضهم ما ينافى العصمة، من غير شعور منه بما فيها من خطر .

وأوضح دليل على وقوع الإجماع ما نشاهده من اجتماع أصحاب المذاهب على قول

= وأجيب: بمنع ما ذكر فى القاطع إذ قد يستغنى عن نقله بحصول الإجماع الثانى هو أقوى منه، وأما الظنى فقد يكون جلياً لا تختلف فيه الأفهام ولا تباين فيه الأنظار فهذا أعنى بمنع إمكان الإجماع فى نفسه هو المقام الأول .

(إرشاد الفحول ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

(١) هذا كلام منقول من كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكانى دار الكتب ص ٢٩٠ .

ويعلق فضيلة الدكتور شعبان محمد إسماعيل محقق هذا الكتاب على هذا الكلام فيقول:

والنقل عن الإمام أحمد فى هذه المسألة متضارب ومختلف فهناك العديد من النصوص التى تدل على اعتباره الإجماع أصل من أصول مذهبه، كما نقل حسنه إنكاره وقد وفق ابن تيمية بين هذه النقول فقال: «الذى أنكره أحمد دعوى إجماع المخالفين بعد الصحابة أو بعدهم وبعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة المحمودة، ولا يكاد يوجد فى كلامه احتجاج بإجماع بعد عصر التابعين، أو بعد القرون الثلاثة مع أن صغار التابعين أدركوا القرن الثالث، وكلامه فى إجماع كل عصر إنما هو فى التابعين، ثم هذا منه نهى عن دعوى الإجماع النطقى، وهو كالإجماع السكوتى، أو إجماع الجمهور من غير علم بالخلاف ...» .

انظر المسودة لابن تيمية ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

والخلاصة: أن الإمام يرى أن نقل إجماع الجميع فى مسألة ما يحتاج إلى الوقوف على جميع آراء المجتهدين فى كل مكان وهذا أمر عسير، خاصة فى القرون المتأخرة وهذا هو ما قال الإمام الشافعى فى كتاب «إبطال الاستحسان»: «لست أقول ولا أحد من أهل العلم هذا مجتمع عليه إلا لما تلقى عالماً أبداً إلا قاله كذلك، وحكاه عن قلبه كالظهر أربعاً وكتحريم الخمر، وما أشبه ذلك . أهـ .

(٢) هو محمد بن على بن عبدالله الشوكانى ولد سنة ١١٧٣هـ نشأ بصنعاء . أخذ فى طلب العلم وجد فى السماع من العلماء ومطالعة كتب الأدب والتاريخ حتى صار إماماً يعول عليه فى التفسير والحديث والفقه .

وقد تفقه على مذهب الزيدية .. ثم ترك التقليد واجتهد .

ومع أن الزيدية تأثروا بمذهب المعتزلة وأخذوا عنهم كثيراً من معتقداتهم إلا أن الشوكانى لا يميل إلى الأخذ بآرائهم ويعارضهم ويرد عليهم فى كثير من المسائل .

وقد كان ـ أميناً فى كل ما ينقل، ينسب الآراء لأصحابها ويستدل كل رأى ـ غالباً ـ لم يناقش ويخرج بالراجح فى كل ما يقول وربما كان له رأى خاص ينفرد به عن سائر العلماء كما يمتاز بعدم التعصب لمذهب معين اللهم إلا أن يكون الحق مع فؤيق من العلماء فيدافع بقوة، ويبين وجه الحق مدعماً بالدليل الواضح .

الإمام فى المسائل الفرعية، مثل اجتماع المالكية على أن فرائض الوضوء سبعة، واجتماع الشافعية على أنه ستة، واجتماع الحنفية على أنها أربعة، مع انتشارهم من القارة الإفريقية إلى آسيا والهند، وفيهم علماء كبار بلغوا درجة الاجتهاد، بل صرح كثير منهم أن اجتهادهم وافق طريقة الإمام التى اختاروا السير عليها .

فاجتماعهم على قول إمام، دليل على أن اجتماع المجتهدين على حديث النبى ﷺ أولى بالإمكان، وأجدر بالوقوع، ولا التفات إلى ما أبداه النظام ومن شايعه من إيرادات متمحّلة، حتى قالوا: من يدرينا لعل أحد المجتهدين رجع عن قوله؟ أو وافق ظاهراً لا باطناً؟ ونحو هذا من السخافات!!

ولهذا البحث بقية فى كتب الأصول(1) .

---

(1) الإجماع فى اللغة: يطلق على معنيين:

أحدهما: العزم على الشئ والتصميم عليه قال ﷻ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس:٧١] ، ﴿.. وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ [يوسف:١٥] .

وقوله ﷺ: «من لم يجمع من الليل فلا صيام له» .

ثانيهما: الاتفاق . يقال: أجمع القوم على كذا أى: اتفقوا عليه .

وقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتى على ضلالة» .

اصطلاحاً: عرفه الإمام الغزالى بأنه: اتفاق أمة محمد ﷺ خاصة على أمر من الأمور الدينية .

عرفه صدر الشريعة: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ فى عصر على حكم شرعى .

آراء العلماء فى حجية الإجماع:

اختلف العلماء فى حجية الإجماع على عدة مذاهب:

المذهب الأول: الجمهور، والأئمة الأربعة والإمام أحمد بن حنبل والخوارج قبل حدوث الفرقة: أنه حجة شرعية فى أى عصر من العصور ـ وليس قاصراً على عصر الصحابة ـ من توفرت أركانه وشروطه .

المذهب الثانى: داود الظاهرى واتباعه والإمام أحمد فى إحدى الروايات عنه: أن الإجماع حجة شرعية، ولكنه مقصور على إجماع الصحابة فقط .

المذهب الثالث: جمهور الشيعة الإمامية أن الإجماع حجة بشرط أن يكون مع المجمعين الإمام المعصوم . فهم لا يعتبرون الإجماع حجة فى حد ذاته، وإنما لأنه كاشف عن قول الإمام المعصوم، فإذا كان الإمام غير موجود فلا يحصل إجماع أصلاً .

المذهب الرابع: مذهب النظام والقاشانى ـ من المعتزلة ـ والخوارج والشيعة . وهو ما ذهب إليه الشوكانى: أن الإجماع ليس بحجة مطلقاً . ولا يصلح أن يكون دليلاً شرعياً .

ولا نذكر آراءهم لأنه ليس مجالاً ومن أراد التوسع والاطلاع فليرجع إلى كتب أصول الفقه ونقول: أن المنكرين لحجية الإجماع لن يأتوا بأدلة يعول عليها بل هى شواهد عامة بعيدة الدلالة عن موضوع النزاع، فالتشكيك فى حجية الإجماع تشكيك فى أمر واقع لا يمكن إنكاره إلا لمن يغمض عينيه عن رؤية نور الشمس فى وضح النهار .

وبعد، فإن الدليل على أفضلية النبى ﷺ على الخلق أمور:

أولاً: قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، رحمة لمن آمن به فى الدنيا والآخرة، ورحمة لمن كفر به أن يعافى مما كان يصيب الأمم السابقة من العذاب فى الدنيا بالخسف والمسخ ونحو ذلك، ورحمة للملائكة أنهم أمنوا العاقبة بثناء الله عليهم فى القرآن، ولم يكونوا يأمنونها . فهو بهذا أفضل منهم .

ثانياً: قول الله ﷻ فى حق الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ {الأنبياء:٢٩} .

والدليل فى هذه الآية من وجهين:

الأول: بيَّنه ابن عباس ل بقوله: إن الله ﷻ فضّل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء .

قالوا: يا ابن عباس ما فضْلُه على أهل السماء؟

قال: لأن الله ﷻ قال لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩] .

وقال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)﴾ [الفتح] .

قالوا: يا ابن عباس ما فضْلُه على الأنبياء؟

قال: لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم:٤] .

وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] ، فأرسله الله ﷻ إلى الأنس والجن .

رواه البيهقى فى «دلائل النبوة»: ٥/ ٤٨٦ .

الثانى: بيّنه الحافظ السيوطى حيث قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبى ﷺ فى القرآن الذى أُنزِل عليه، وقد قال ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾

[الأنعام:١٩] ، فثبت بذلك إرساله ﷺ إلى الملائكة . انتهى .

من «تزيين الأرائك فى إرسال النبى إلى الملائك»، والرسول أفضل من المرسل إليهم.

ثالثاً: قول الله ﷻ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] .

أخرج البيهقى عن ابن عباس قال: ما خلق الله خلقاً أحب إليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله ﷻ أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] ، وحياتك إنهم لفى سكرتهم يعمهون . دلائل النبوة: ٥/ ٤٨٨ .

قال الإمام السيوطى(١) فى «الإكليل»: واستدل بها أحمد بن حنبل على أن من أقسم بالنبى ﷺ، لزمته الكفارة .

قلت: وجه الدلالة من الآية أن الله ﷻ لم يقسم بحياة نبى ولا ملك .

وفسر الزمخشرى الآية على إضمار فعل مقدَّر، أى قالت الملائكة للوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] ، وقد ضعفه ابن القيم، والأصل عدم التقدير .

رابعاً: المقام المحمود الذى خصصه الله به، دون الملائكة والأنبياء .

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] .

روى أحمد وابن جرير والترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله ﷻ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] ، وسئل عنها؟ قال: «هى الشفاعة» قال الترمذى: هذا حديث حسن قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذى يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم(٢) . أهـ .

---

(١) هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى . حفظ القرآن وهو صغير وحفظ كثيراً من المتون وتتلمذ على خمسين من علماء عصره .

من مؤلفاته: ترجمان القرآن - الدر المنثور - توفى ٩١١هـ عن ستين سنة رحمه الله رحمة واسعة .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى . ولد سنة ٢٢٤هـ رحل إلى كثير من الأقاليم طلباً للعلم وذهب إلى مصر والشام والعراق وكان آخر طوافه لبغداد كان حافظاً لكتاب الله بصيراً بمعانيه . عالماً بالسنن =

وقال ابن كثير: أى افعل الذى أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الخلائق تبارك وتعالى . أهـ .

وأحاديث الشفاعة العظمى مخرَّجة فى الصحيحين وغيرهما(١)، مع بيان أنها من خصوصيات النبى ﷺ . وهى متواترة(٢) .

خامساً: وإن ذهبنا إلى القول الذى تفرد به مجاهد فى المقام المحمود: إنه إجلاس النبى ﷺ على العرش فهو أيضاً خاص به، لم ينله نبى ولا ملك .

وهذا ظاهر، لا خفاء فيه .

سادساً: روى الترمذى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس أن النبى ﷺ أتى بالبراق ليلة أُسرى به ملجماً مُسرجاً فاستعصب عليه، فقال له جبرائيل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقاً .

حسنه الترمذى، وصححه ابن حبان .

== وطرقها صحيحها وسقيمها . ناسخها ومنسوخها . فقيهاً عارفاً بأحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

ومن مؤلفاته: جامع البيان ـ تاريخ الأمم والملوك ـ القراءات ـ تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين يقول عنه ابن خلكان: أنه كان من الأئمة المجتهدين لا يقلد أحداً . والظاهر أنه كان شافعياً قبل أن يبلغ مرتبة الاجتهاد أهـ .

(١) عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر» . رواه الترمزى وقال: حسن .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر» . (أخرجه الترمذى فى سننه وقال حديث صحيح) .
- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ... من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه . (أخرجه البخارى) .
- عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب . أدخل الجنة من فى قلبه خردله، فيدخلون ثم أقول: ادخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شى . (أخرجه البخارى) .
- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة» . (رواه البخارى فى باب صفة الجنة والنار) .

(٢) المقصود بالتواتر هنا ما اشتركت فيه الروايات من الشفاعة لا لفظاً واحداً منها بخصوصه وهذا النوع من التواتر فى السنة كثير .

قال السهيلى: إن البراق استصعب عليه ﷺ لبُعد عهده بركوب الأنبياء قبله .

وهذا الحديث يفيد أفضلية النبى ﷺ على جبريل عليه السلام، لأنه ركب البراق مع النبى ﷺ، كما ثبت فى حديث حذيفة رضي الله عنه، وقد خاطب البراق بقوله: ما ركبك أحد أكرم على الله منه، والمخاطب ـ بكسر الطاء ـ داخل فى عموم خطابه، كما تقرر فى علم الأصول .

وأما ما يقال: إن جبريل عليه السلام كان آخذاً بركاب النبى ﷺ وهو على البراق، فمن وضع الجهلة القُصاص .

وقد حصل بينى وبين الشيخ محمد الشربينى من تلاميذ الشيخ الألبانى، نزاع فى هذه المسألة حيث زعم صحة هذه الخرافة، وأثبت له بطلانها، بما نقلته من كتاب «فتح البارى» للحافظ ابن حجر .

ومثل هذا التعبير لا يليق بمقام جبريل عليه الصلاة والسلام لأن الله جل جلاله أثنى عليه ثناءً كبيراً فى قوله تعالى:﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠)﴾ [التّكوير]، فلا يجوز أن يقال فى حقه: كان خادماً للنبى ﷺ، أو ممسكاً بركابه، أو مثل هذه العبارات .

والنبى ﷺ نفسه كان يعظم جبريل عليه السلام، ويفرح بلقائه، ويتواضع معه .

سابعها: روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«ألا إنى أبرأ إلى كل خل من خله ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله»(١)، وله طرق فى الصحيح .

فالنبى ﷺ خليل الله بنص الحديث، وهذه رتبة لم ينلها أحد من الملائكة، فهو أفضل منهم

(١) الحديث رواه الترمذى برقم ٣٦٦٢ فى المناقب باب مناقب أبى بكر رضي الله عنه .
وقال الترمذى: هذا حديث غريب . وقد ذكره الحافظ فى الفتح وسكت عليه .
ففى رواية: إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً رواه الترمذى فى مناقب أبى بكر رقم ٣٧٣٥ عن عبد الله وأخرجه مسلم رقم ٢٣٨٣ فى فضائل الصحابة باب مناقب أبى بكر الصديق رضي الله عنه الأولى لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً والثانية ألا إنى أبرأ إلى كل خل من خله .
ورواية: «إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» . الحديث أخرجه مسلم رقم ٥٣٢ فى المساجد، باب النهى عن بناء المساجد على القبور بلفظ: إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل: وإن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ... إلخ .

والخلة أفضل من المحبة، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المؤمنين، ولم يتخذ من خلقه خليلاً إلا إبراهيم والنبى ﷺ، فهما أفضل الخلق .

ثامنها: إجماع أهل السنة على أفضليته ﷺ على الملائكة، ومخالفة ابن حزم والزمخشرى لا يعتبر بها لشذوذهما كما سبق التنبيه عليه(١) .

تاسعها: فى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع الزُّرَقى ـ وكان من أهل بدر ـ قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال:«من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة .

وراه البيهقى بإسناد البخارى، ولفظه: سأل جبريل النبى ﷺ كيف أهل بدر فيكم؟ قال:«خيارنا»، وقال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم خيار الملائكة .

أفاد الحديث تفضيل الملائكة الذين شهدوا بدراً على من لم يشهدها منهم، وأنهم كانوا تبعاً للنبى ﷺ من جملة جنوده، فهو أفضل منهم .

وأختم بهذا الأثر الذى رواه البيهقى عن بشر بن شغاف الضبى، قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن سلام يوم الجمعة فقال: إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة، فيه خُلق آدم وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خلق الله على الله: أبو القاسم ﷺ، قلت: رحمك الله فأين الملائكة، قال: فنظر إلىَّ وضحك فقال: يا ابن أخى، وهل تدرى ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق، وإن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم ﷺ .. وذكر بقية الأثر . «دلائل النبوة»: ٥/ ٤٨٥ .

---

(١) أجمع علماء المسلمين أن أفضل المخلوقات سيدنا محمد ﷺ سواء كانت هذه المخلوقات علوية أو سفلية أنس ـ جن ـ ملك ولا عبرة إلا بما زعمه الزمخشرى من تفضيل جبريل عليه السلام مستدلاً بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٩] .

٢- ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠] .

٣- ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ(٢٢)﴾. [التكوير] ، حيث عد فضائل جبريل .

والرد على الزمخشرى وغيره: أن هذه الآيات ليس المقصود منها المفاضلة بين جبريل ومحمد وإنما المقصود منها نفى قول الكفار وإنما يعلمه البشر، وقولهم: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ:٨] ، ليس المقصود المفاضلة بينهما .

٤- المعلم الحقيقى لرسول الله ﷺ هو الله لقوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(٢)﴾. [الرحمن]. .

٥- مخالفة الزمخشرى لعلماء المسلمين .

وهذا آخر ما يسره الله ﷻ وفتح به . وأسأل الله الذى وفقنى له وألهمنيه أن يقبله منى، ويجعله سبباً لنيل شفاعة نبيه وخليله ﷺ .

تم تحريراً يوم الأحد فاتح شوال سنة ١٤٠٩هـ .

والحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أفضل خلقه سيدنا محمد وآله الكرام، ورضى الله عن صحابته الأئمة الأعلام .

الحمد لله وبفضله تم الكتاب

السيف البتّار

لمن سب النبى المختار

أبى الفضل عبد الله بن الصديق الغمارى

رحمه الله وعفا عنه

إشراف

محمد بن على بن يوسف

اطلبوا من مكتبة القاهرة

كتب الخطب

اطلبوا من مكتبة القاهرة
كتب التجاني والميرغني والطيبى

١ - الفتح الربانى
٢ - الهدايا الربانية
٣ - الياقوتة الفريدة
٤ - القنبلة الذرية
٥ - ميزاب الرحمة الربانية
٦ - بلوغ الأمانى
٧ - منية المريد
٨ - مولد التيجانى
٩ - ديوان منعش الأبدان
١٠- ميدان الفضل والأفضال
١١- الدرر السنية
١٢- الفيض الهامع
١٣- ترياق الفهوم
١٤- النفحة الفضلية
١٥- الخلاصة الوفية
١٦- غاية الأمانى
١٧- الفوز والنجاة
١٨- أحزاب وأوراد التجانى
١٩- رشفات المدام
٢٠- أزاهير الرياض
٢١- سر الأسرار
٢٢- المصافاة
٢٣- فتح الرحمن فيما يحتاج إليه
٢٤- الإفادة الأحمدية
٢٥- رفع المشبهات
٢٦- الإرشادات الربانية
٢٧- مولد النبى
٢٨- النور البراق
٢٩- فتح الرسول
٣٠- رياض المديح
٣١- مجموع الأوراد الميرغنية
٣٢- جامع الأوراد القريبة الطيبية السمانية
٣٣- قصة المعراج
٣٤- راتب الميرغنى
٣٥- منجية العبيد
٣٦- العقد المنظم
٣٧- مجمع الغرائب والوجدان
٣٨- راتب السعادة
٣٩- شرب الكأس
٤٠- كتاب الحكم للطيب البشير
٤١- الحزب السيفى
٤٢- إتحاف الخل الوفى شرح الحزب السيفى
٤٣- تحفة العروس ونزهة النفوس
٤٤- النمارق المصفوفة

اطلبوا من مكتبة القاهرة

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة